إضـاءات
على طريق الدعوة إلى اللّه تعالى

إعداد
ناصر بن سعيد بن سيف السيف

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد

فإن جمع ما تفرق من الأبحاث والدراسات في سفرٍ واحد وسلكها في عقدٍ ينظمها مما يُشبع نهمة المُطالع في القراءة والمطالعة، ويقدح زناد الباحث في التحقيق والكتابة، وينتفع منها الجميع -بإذن الله تعالى-، وتكون مما يُدخر في يوم القيامة، وهذه في الحقيقة من الدوافع إلى نشر بعض الأبحاث والدراسات المتعلقة بالموضوعات الدعوية ، وسميتها في هذا الكتاب بعنوان: «**إضاءات على طريق الدعوة إلى الله تعالى**». (١)

أسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق والسداد، وأن يجعلنا جميعـًا من المقبولين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن سعيد السيف

المملكة العربية السعودية

محافظة الخرج

صباح يوم السبت الموافق ١٤٣٩/٦/٢٢هـ

---

(١) تم بعد توفيق الله تعالى نشر هذا الكتاب في عدة مواقع على شبكة الإنترنت، منها: «**موقع صيد الفوائد**» في الصفحة الشخصية على الرابط التالي: http://saaid.net/Doat/naseralsaif/index.htm

تاريخ الدعوة إلى الله تعالى [١]

الدعوة إلى الله تعالى من أجل شرائع الإسلام الحنيف الذي بُعث به لبنة التمام ومسك الختام نبينا محمد ﷺ، وهذه الدعوة ضاربة بجذورها في عمق التاريخ البشري فليست كما يظن البعض ويعتقد أنها نشأت من بعثة النبي ﷺ، فهذا خلاف ما جاء في القرآن والسنة من قصص الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله تعالى لتبليغ دينه وشرائعه إلى العالمين، ولإقامة منهج الله تعالى المنزل عليهم وسيادته على كل منهج بشري أو طاغوتي مخالف لمنهج الله تعالى ورسالته، وهذه من كبرى حقائق الدعوة التي لا ينبغي أن تغيب عن أذهان وعقول الدعاة إلى سبيل الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام[٢].

فتاريخ الدعوة كما بينه الله تعالى في القرآن الكريم كانت أولى خطواته في مسيرة الحياة البشرية الطويلة في زمان نبي الله نوح عليه السلام، لأن البشرية ظلت على فطرتها التي خلقها الله تعالى عليها بالتوحيد لله تعالى منذ أول البشرية آدم عليه السلام، واستمسكت بها زمانًا طويلاً كما ذكرت كتب القصص والتاريخ ما يقرب من ألف عام، حتى بزغ الشيطان بشركه وتلاعبه في العقول بأن يصرفها عن عبادة خالقها وموجدها سبحانه وتعالى، ثم توالت

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٣/ ٣/ ١٤٣٨هـ.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية بين التاريخ والمنهج، عاطف الفيومي، ص٢.

الرسالات والنبوات من بعده تترى لإعادة البشرية السالكة في طريق الشيطان والخسران إلى طريق النجاة والإيمان، والعبودية لله وحده المستحق لها بلا منازع أو شريك. (١)

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من تاريخ الدعوة إلى الله تعالى، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مفهوم تاريخ الدعوة:

- تاريخ الدعوة: فن يبحث فيه عن كيفية نشر الإسلام، وإقناع الناس باتباعه، ثم إثباتها بالتعيين والتوقيت لاطلاع الأمة عليها وإفادتهم منه.
- شرح التعريف:

في قولنا: «هو فن» الفن: هو الضرب من الشيء، أي النوع. فتاريخ الدعوة نوع مُستقل بذاته عن غيره من العلوم.

وفي قولنا: «ثم إثباتها بالتعيين»: أي رصد هذه المعلومات بتعيين الحادثة، وأبرز الأشخاص الذين شاركوا فيها.

وفي قولنا: «والتوقيت»: أي ربط ذلك بالتوقيت الزمني لهذه الأحوال والمراتب. (٢)

أهمية معرفة تاريخ الدعوة ما يلي:

١- معرفة منهج الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله جل جلاله تدل على

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة والدعاة، حياة صديق الأنصاري، ص٤.

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، تاريخ الدعوة إلى الله تعالى، ٥٨/ ٢٢٦.

أصالة وقِدم تاريخ الدعوة.

٢- استشعار عَظمة الله جل جلاله وأن له سُنن كونية في خلقه، حيث جعل الصراع بين الحق والباطل مستمراً إلى قيام الساعة، فقد يعلو الباطل في أزمان، ولكن يبقى معه أصحاب الحق مُستعلين بالمنهج النبوي والعقيدة الإسلامية الصحيحة.

٣- يقودنا إلى معرفة كيف كانت البشرية على التوحيد، ثم تحولت إلى الشرك وأسباب ذلك، وما قدمه الرسل لدعوة المشركين بالله جل جلاله، حيث يظهر لنا القدوات الصالحة، وخيرهم الرسول ﷺ ومن تبعه من الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والسلف الصالح، وما تركوه من أثر لا يُنسى مع مر الأيام والسنين، قال تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٤- تاريخ الدعوة يثبت قلب المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ: (١)

أرسل الله جل جلاله محمداً ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو رحمة للإنس والجن، مؤمنهم وكافرهم؛ يدعوهم إلى الله جل جلاله؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى له: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فالنبي ﷺ خاتَم الأنبياء والرسل، وبعثته للناس كافة إلى أن تقوم الساعة.

---

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص١٥١-١٦٠.

وقد جاء الرسل السابقون عليه لفترة زمنية محددة، ولقوم بعينهم، أما رسالة محمد ﷺ؛ فجاءت رحمة للعالمين جميعًا، قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مَسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة**»(١)، وتنقسم حياة رسول الله ﷺ الدعوية بعد أن بعثه الله جل جلاله بالنبوة والرسالة إلى عهدين، هما: «العهد المكي والعهد المدني».

من الدروس والعبر من دعوة النبي ﷺ في العهد المكي:

١- إلهام الرسول ﷺ من قِبل ربه بأن يبدأ الدعوة سراً، وذلك إرشاد له وإرشاد للدعاة من بعده، إلى وجوب الأخذ بالحيطة وممارسة الأسباب، إذ أن الرسول ﷺ مدعوم بقوة الله ولو بدأ الدعوة جهراً فإن الله سيحفظه، ولن ينالوا منه شيئًا، لكن لبيان منهج الإسلام في الأخذ بالأسباب والاعتماد على مسبب الأسباب.

٢- إذا كان المسلمين في قلة من العدد أو ضعف من العِدة، بحيث يغلب على ظنهم أنهم سيقتلون، من غير أن يكون هناك نكاية في أعدائهم، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس؛ لأن المصلحة المقابلة هي مصلحة حفظ الدين، وهي موهومة أو متوقعة أو منفية الوقوع، وهذا ما يقرره العلماء.

٣- إدراك مسئولية الدعوة: لقد رأينا رسول الله ﷺ يقوم بالدعوة، ويقوم معه

---

(١) رواه البخاري، باب قول النبي ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي**»، ٢/ ١٨٢.

كل من يدخل في الإسلام؛ ولذلك أخذت الدعوة الصورة الجماعية منذ الجهر بها، ورأينا كذلك المسلمين وهم يدعون إلى الله تعالى في صورة تقرب الناس إليهم، وتعرفهم الإسلام برفق وهدوء، وتدعو إلى الله بالحسنى والخلق الجميل، ورأينا أصحاب رسول الله ﷺ رغم الضعف والقلة يقومون بالدعوة ويضيفون للإسلام أتباعًا مؤمنين صادقين.

٤- دور المرأة في الدعوة كما فعلت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجة رسول الله ﷺ، آمنت به، وصدقت برسالته، واغنته بمالها، ويسرت له الطريق بأمر الله تعالى، فكانت خير عون على تبليغ الرسالة[1].

تأسيس وبناء الدولة الإسلامية في المدينة النبوية:

شكلت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة النبوية منعطفًا حاسمًا في مسار التاريخ الإسلامي، وذلك نظرًا لما أسست له من تحولات عميقة وجذرية سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي وبات من المتفق عليه بين المؤرخين أن حدث الهجرة كان إعلانًا لبزوغ مرحلة الدولة الإسلامية، بعد مرحلة الدعوة في مكة المكرمة، وقد وضع رسول الله ﷺ خلال هذه المرحلة الجديدة المعالم الأساسية للمجتمع الإسلامي في كل أبعادها، الفردية والجماعية، العامة والخاصة بل إن تقسيم آيات القرآن الكريم إلى مكية ومدنية حسب مراحل نزولها، دليل على أهمية وخصوصية كل مرحلة، وبالتالي فإن الهجرة كحدث فاصل بين هاتين المرحلتين جدير بالاهتمام والدراسة.

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص٨٥-١٩٣.

والنبي ﷺ أقام الدولة على أسس ومناهج لم يقلد فيها أحداً، بل كانت هدياً نبوياً وتوفيقاً إلهياً لا يأتيه الباطل وذلك لتكون هي الدولة الأنموذج بالنسبة للمسلمين التي يجب أن تُحتذى في تنظيمها وبنائها وأهدافها، لاسيما أن هدفها علوي، يسعى لنشر نور الهداية الربانية في جميع أصقاع الأرض، وذلك لينتشل الإنسانية من الأرجاس والرذائل التي لحقت بها، ويوصلها إلى مكارم الأخلاق وعالم الفضيلة ولكي تقوم الدولة بهذه المهمة العظيمة سعى النبي ﷺ لبناء دولة نموذجية في كل شيء لتصبح سنة جارية في التاريخ.

والأسس القوية التي قامت عليها الدولة تعد قواعد كلية ومبادئ عامة صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وافية بحاجات البشر على طول الزمن وتعدد الحاجات والمطالب، تحقق فيها العدل والمساواة بين البشرية وتعاون الإنسانية على الخير.

منهج النبي ﷺ في العهد المدني:

يمكن تقسيم منهج النبي ﷺ في العهد المدني إلى ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي، وتمكين الدعوة الإسلامية، وقد أثيرت في هذه المرحلة القلاقل والفتن من الداخل، وزحف فيها الأعداء من الخارج؛ ليستأصلوا شأفة المسلمين، ويقلعوا الدعوة من جذورها، وقد انتهت هذه المرحلة بتغلب المسلمين وسيطرتهم على الموقف مع عقد صلح الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة.

الثانية: مرحلة الصلح مع العدو الأكبر، والفراغ لدعوة ملوك الأرض إلى الإسلام، وللقضاء على أطراف المؤامرات، وقد انتهت هذه المرحلة

بفتح مكة المكرمة في رمضان سنة ثمان من الهجرة.

الثالثة: مرحلة استقبال الوفود، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وقد امتدت هذه المرحلة إلى وفاة الرسول ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة.

من الدروس والعبر من دعوة النبي ﷺ في العهد المدني:

١- إرساء قواعد العقيدة قَبْل الأمر بالتكاليف؛ حيث بدأ الأمر بالتكاليف في المدينة بعد إقامة الدولة وتمكين الإيمان في القلوب.

٢- الدعوة باللِين والحكمة والموعظة الحسنة، وتحمُّل مشاقِّ الدعوة، والصبر على ذلك، ثم تحمل أذى المعارضين، خصوصاً في مرحلة الاستضعاف.

٣- عرض الدعوة على جميع الناس؛ الفقراء والأغنياء، القريب والبعيد، وإقامة الحجة على الناس، وطلب النصرة.[١]

أهم الأعمال التي قام بها النبي ﷺ في المدينة النبوية من أجل دعم مناهج الدعوة إلى الله تعالى:

١- بناء مسجد قباء ثم مسجده عليه الصلاة والسلام ليكون مكان العبادة، ومحور انطلاقة منهج الدعوة.

٢- القيام بالمؤاخاة بين مجتمع المؤمنين في المدينة والمتمثل بين الأنصار والمهاجرين، ليكون دليلاً عظيماً على قوة العقيدة والإيمان، ومدى صنيع منهج الدعوة في بناء الكيان الإنساني النبيل[٢].

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص١٩٧-١٩٩.

(٢) انظر: محمد رسول الله ﷺ، محمد الصادق عرجون، ٣/ ٥١ وما بعدها.

٣- قيام النبي ﷺ بنشر الدعوة بين الناس، وتعليم المسلمين أمور دينهم، والعمل على تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة[١].

٤- تطبيق النبي ﷺ الأحكام الشرعية بين المسلمين، وإظهار شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب على الناس[٢].

٥- قيام النبي ﷺ بإيصال منهج الدعوة إلى الملوك والأمراء في عهده، وذلك من خلال إرسال الرسل والكتب إليهم، ودعوتهم إلى الإسلام[٣].

٦- قيام النبي ﷺ باستقبال الوفود التي أتته من كل مكان لمبايعته والدخول في دين الإسلام، فكان هذا من أعظم البشائر بتقدم منهج الدعوة في طريق النصر وقبول الناس به[٤].

٧- استعمال النبي ﷺ لجملة من الوسائل والأساليب النافعة لبيان منهج الدعوة وإيصاله للناس كافة[٥].

٨- قيام النبي ﷺ بالجهاد في سبيل الله، وذلك بعد إذن الله تعالى له، ودفعاً لصائلة الأعداء وتربصهم بالمسلمين، وحماية للمجتمع المسلم، ووقاية للأموال والأنفس والأعراض من انتهاك المشركين لها، وفي ذلك أبلغ الأدلة على عظمة تشريع الجهاد وأنه ليس للعدوان والانتقام والتشفّي أو من أجل حبّ إراقة الدّماء وإرهاق الأرواح كما يروّج المستشرقون أو أعداء الإسلام[٦].

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة، جمعه الخولي ٢/ ٤٧.

(٢) انظر: حسبة النبي ﷺ، عبدالرحمن عيسى السليم، ص١٩ وما بعدها.

(٣) انظر: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، للإمام محمد بن طولون الدمشقي، ص٤٧.

(٤) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، ص٢٦٦.

(٥) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمود العلي، ص١٥.

(٦) انظر: الجهاد في سبيل الله، عبدالله بن أحمد القادري، ١/ ٥١ وما بعدها.

٩- تعامل النبي ﷺ مع أهل بيته، التعامل الأمثل، ليؤكد بذلك على أهمية ابتناء البيت المسلم على البناء الإسلامي الصحيح، والتكوين المتكامل والتربية السليمة، والتعاون المتبادل بين أعضاء الأسرة الواحدة، ومن ثم قيام هذا البيت بالدعوة إلى الله[١].

١٠- قيام النبي ﷺ بتربية أصحابه التربية الإيمانية الدافعة لحمل منهج الدعوة الإسلامية إلى العالم أجمع، فكان ذلك المجتمع الأول أفضل وأكمل مجتمع[٢].

١١- قام النبي ﷺ بالتعامل مع صنوف المدعوين كافة التعامل الأمثل، ودعاهم إلى الله تعالى بتوحيده وإفراد العبادة له سبحانه، وتحقيق لوازم الشّريعة ومعطياتها في حياتهم الخاصة والعامة.

١٢- قيام النبي ﷺ بكشف الشبهات، وإيضاح الأخطاء، وبيان مفاهيم منهج الدعوة القويم في حياة الناس، ودلالة الأمة على خيري الدنيا والآخرة.

وخلاصة القول: فإن مسيرة منهج الدعوة في العهد النبوي، هي أكمل وأفضل مسيرة عرفها المسلمون في تاريخهم الطويل.

تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين:

امتد عهد الخلفاء الراشدين من السنة (١١هـ إلى ٤٠هـ)، وظهر الاهتمام الدعوي في عهد الخلفاء الراشدين بأمرين، هما:

١- إرشاد المسلمين وتوجيههم إلى حكم الله وهدي الرسول ﷺ في كل أمر

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص٤٥٥.

(٢) انظر: أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبدالله محمد آل موسى، ص٤٥٦.

ديني ودنيوي في خطب الجمعة والأعياد وفي كل مناسبة.

٢- تبليغ الدعوة لغير المسلمين بكافة الأساليب وشتى الوسائل الدعوية، وكان الصحابة رضي الله عنهم يقومون بالدعوة في البلاد المفتوحة حتى يسلم أهلها ويدخلون في الإسلام اختياراً ورغبة[١].

والمنهج الدعوي في المجتمع الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين ليس إلا امتداداً للعهد النبوي، وترسيخ لمبادئه التي تسير وفق المنهج القرآني الذي بيَّن منهج الدعوة وأساليبها مع المدعويين بجميع أصنافهم[٢].

تاريخ الدعوة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:[٣]

من مواقف أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدعوة:

١- امتثال أمر النبي ﷺ بعد وفاته بتنفيذه جيش أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢- دعوة المرتدين ليرجعوا إلى الإسلام: ارتدت العرب بعد وفاة النبي ﷺ، فمنهم من أنكر الاستجابة لهذه الدعوة بالكلية، ومنهم من امتنع عن الاستجابة لبعضها فمنعوا أداء الزكاة، ولم يبق من العرب على أمر الدعوة إلا أهل المسجدين مكة والمدينة.

٣- جهوده في القضاء على الدعوات المضللة لما سيَّر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جيش أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومضت ثلاثة أيام، عيَّن الصديق بعض كبار الصحابة على

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة، ص٧٧.

(٢) انظر: دعوة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، عبدالله اللحيدان، ص٣٠٩.

(٣) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص١٦١.

منافذ المدينة، وعندما أغار على المدينة بعض المرتدين ليلاً خرج الصديق إليهم بمن كان معه في المسجد ففر المغيرون، وأدركهم الصديق فحصل اللقاء، ووضع الصديق فيهم السيف ثم رجع إلى المدينة، واستقر فيها حتى عاد جيش أسامة منتصرًا، وبعدها خرج الصديق إلى ذي القصة فعقد أحد عشر لواء لقتال المرتدين، وجعل على كل لواء قائدًا، ووجههم جميعـًا إلى جهات من الجزيرة، وهي الجهات التي فيها الردة.[1]

٤- جمع مصدر الدعوة الأول (القرآن الكريم): عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أرسل إليَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني. فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإني لأرى أن يجمع القرآن. قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل ولا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ؛ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلان شيئـًا لم يفعله النبي ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٦/ ٣١٣.

القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. (١)

تاريخ الدعوة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٢)

أرسل الله رسوله محمداً ﷺ داعيًا بإذنه وسراجًا منيراً واقتبس الصحابة منه هذا النور ولما توفاه الله حمل هذا النور أبو بكر ومضى به في الأمة يدعو إلى الله سبحانه ولما قضى حمل الراية الفاروق عمر يدعو إلى الله تعالى، ولقد شهدت الأمة للفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغزارة العلم والفقه، وتاريخه في الدعوة إلى الله تعالى حافل بالمستجدات في عصره، ومن ذلك:

١- بدأ هو بنفسه بالدعوة إلى الله حيث كان يخطب الناس بالمدينة ويوجه ويرشد وقد حفظ التاريخ للفاروق كثيراً من خطبه، فقد خطب عمر بن الخطاب على منبر الرسول ﷺ فقال: «إنه قد نزل تحريم الخمر وفي خمسة أشياء العنب، التمر، الحنطة، العسل، الشعير». (٣)

٢- جعل المدينة داراً للفتوى والفقه وعاصمة الدولة الإسلامية وموطن

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، ٦ / ٨٩.

(٢) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص١٦٢.

(٣) انظر: الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى، ص٣٠٠.

الخلافة وبعد الفتوح اتسعت رقعة الإسلام، وقد كانت المدينة تحتل المكانة المرموقة بين سائر الأمصار وكانت مجمع للصحابة ذوي السبق في الإسلام استبقاهم حوله حرصاً عليهم ورغبة في أن يكونوا عوناً له في سياسة الأمة والاستعانة بعلمهم واسترشاداً بآرائهم ومشورتهم، وقد بلغ فقهاء الصحابة المفتون (١٣٠) صحابياً مفتياً، وقد جعل المدينة مدرسة تخرج العلماء والقضاة وإذا نظرنا إلى المدارس العلمية الأولى وجدنا الأثر العمري عليها لأن المؤسسين لها تأثروا في فقه الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا اجتمع إليه جيش بعث عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه يعلم الجند أمور دينهم وما قد يعرض لهم من الأمور والأحكام الفقهية والقران. (١)

٤- فرض عمر الرواتب للدعاة من بيت مال المسلمين للمعلمين والمفتين حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم في التعليم والإفتاء وحتى الذين يعلمون الأطفال تكفل الفاروق بأرزاقهم، وقد كان في المدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان فكان عمر يرزق كل منهم خمسة عشر درهم في كل شهر.

٥- كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو بالبصرة يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً وللقبائل مسجداً فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وشهدوا الجماعة.

---

(١) انظر: الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية، سليمان بن صالح آل كمال، ٢/ ٧٢١.

تاريخ الدعوة في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:[١]

لُقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذي النورين، والمراد بالنورين أن النبي ﷺ زوجه ابنته رقية، وحين توفيت زوجه ابنته الثانية أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

من أهم أعمال الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- فتح أذربيجان والري.

٢- فتح أرمينية.

٣- فتح الإسكندرية.

٤- فتح أفريقيا (تونس).

٥- أنشأ أول أسطول بحري إسلامي.

٦- جمع القرآن على عدة نسخ، وجمع الناس عل حرف واحد؛ خوفًا منه على اختلاف الأمة في القراءة لما اتسعت الدولة وتعددت الأمصار.

٧- توسيع المسجد النبوي؛ فقد كثر سكان المدينة، وزاد عدد المصلين حتى إنهم لا يجدون مكانًا في المسجد لأداء الصلاة.

من كتب الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- أول كتاب كتبه عثمان إلى جميع ولاته:(أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أن يصيروا جباة، ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص١٦٣.

في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة، فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء».

٢- كان أول كتاب كتبه إلى قادة الجنود: (أما بعد، فإنكم حماة المسلمين، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان على ملأ منا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدلكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه).

٣- كان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج: (أما بعد، فإن الله خلق بالحق فلا يقبل إلا بالحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به، والأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء لاتظلموا اليتيم ولا المعاهد؛ فإن الله خَصْمٌ لمن ظلمهم).

٤- كتاب إلى العامَّة: (أما بعد، فإنكم إنما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تلّفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن).

تاريخ الدعوة في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:[1]

مواقف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدعوة:

موقف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قام علي بدور عظيم في أخذ أبي ذر إلى مقر الرسول ﷺ فحينما سمع أبا ذر بالنبي ﷺ

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص١٦٧.

قدم إلى مكة، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه الليل فاضطجع فرآه علي فعرفه أنه غريب، فاستضافه ولم يسأل عن شيء، ثم غادر صباحاً إلى المسجد الحرام فمكث حتى أمسى فرآه علي فاستضافه لليلة ثانية وحدث مثل ذلك الليلة الثالثة ثم سأله عن سبب قدومه. فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول ﷺ، فقال له علي: فإنه حق، وهو رسول الله فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإذا مضيت فاتبعني فتبعه وقابل الرسول ﷺ واستمع إلى قوله فأسلم: فقال له النبي ﷺ: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**».

تاريخ الدعوة في العهد الأموي: [1]

يبتدئ العهد الأموي من عام (٤٠) للهجرة عندما تولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الحكم إلى عام (١٣٢) للهجرة عندما قتل مروان بن محمد آخر حكام بني أمية[2].

وتأسّست الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام (٤٠) للهجرة ويسمى عام الجماعة، حيث كان قبل ذلك والياً على الشام منذ العام الثامن عشر للهجرة، وبعد حادثة قتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اضطربت الأمور وحصلت الفتن فيها حينما تولّى الخلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدون أن يبايعه والي الشّام معاوية، وكانت حجّة معاوية أنّ الخليفة يجب عليه أن يقتص

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص١٦٩.
(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الإمام الطبري ٣/ ١٦٦.

من قتلة عثمان قبل مبايعته، وقد اعتبر معاوية نفسه ولي دم عثمان بسبب أنّهما من بني أمية.

وقد حصلت مواجهات بين معسكر علي ومعاوية ولم تنته إلا عند قتل الخليفة علي وتولّي ابنه الحسن الخلافة، حيث قرّر الحسن التنازل لمعاوية عن الخلافة، فأصبح معاوية خليفة للمسلمين ليكون بذلك أوّل خليفة من خلفاء الدولة الأموية، واستمر حكم معاوية عشرين سنة توسعت فيها الدولة الأموية، وقد سنّ معاوية ولاية العهد كمبدأ للتعيين من بعده حينما أمر الناس بمبايعة ابنه يزيد للخلافة قبل عشر سنوات من وفاته وذلك في عام (٥٠) للهجرة.

وينتسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد مناف يلتقي بنو أمية مع بني هاشم، وكان بنو عبد مناف يتمتعون بمركز الزعامة في مكة، لايناهضهم فيه أحد من بطون، وقد اتخذت الدولة الإسلامية من دمشق عاصمة لها.[1]

عوامل نجاح قيام الدولة الأموية:

١- صبر وحلم الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسن سياسته وعدله.

٢- وجود نخبة من الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣- حسن اختيار مبعوثيها إلى الدول المجاورة، ومدى أهليتهم علماً وديانةً وخلقاً.

---

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الإمام الطبري، ٦/ ٤٤٨.

٤- قيام الخلفاء بدورهم بتبليغ دعوة الله في أرضه بشتى الوسائل والطرق ومن بينها (الرسائل الدعوية).

٥- عدل الراعي مع الرعية حيث قامت على أسس الإسلام دون التفرقة بين أفراد المجتمع من حيث العنصر أو الدين.

أساليب ووسائل الدعوة في الدولة الأموية:

أولاً: أساليب الدعوة في العصر الأموي كانت تنطلق من خلال المعالم التي رسمتها لها المناهج الدعوية، فقد اهتدت بهداها، حيث كان الكتاب والسنة هما الأساس الذي من خلاله استخلصت تلك الأساليب الدعوية:

١- على مستوى العلماء: فإن أبرز الأساليب الدعوية التي استخدموها هي أساليب ثلاثة: (الحكمة، الموعظة الحسنة، المجادلة بالتي هي أحسن).

٢- على مستوى الخلفاء: فإن أبرز أساليب الدعوة التي سلكوها في سياستهم لرعيتهم هي أسلوبا: (الترغيب والترهيب).

ثانيـًا: وسائل الدعوة في العصر الأموي كانت متعددة ومتنوعة وقد أجاد المشتغلون بالدعوة استخدامها، ووظفوها لخدمة الدعوة بما يتناسب مع متطلبات عصرهم، حيث بلغت الدعوة الإسلامية في تلك الفترة الزمنية أقصى انتشار لها، وأشرقت شمس الهداية على أمم لم تكن تعرف الإسلام أو تدين به، ومن أبرز الوسائل الدعوية في العصر الأموي هي:

١- الفتوحات الإسلامية وتبليغ الدعوة.

٢- التدين والتعليم.

٣- الحركات العلمية في التفسير والحديث، الفقه، الوعظ، التاريخ، الشعر.

٤- الخطب والنصائح.

٥- الحوار والمناقشات والمناظرات.

مشكلات الدعوة في العصر الأموي:

تتلخص مشكلات ومعوقات الدعوة في العصر الأموي ما يلي:

١- ظهور المبتدعة في الدين سواءً كان في جانب العقيدة أو في جانب الأحكام.

٢- ظهور العصبية القبلية والعنصرية الشعوبية.

٣- ظهور الحركات السياسية متمثلة في الشيعة والخوارج.

٤- وقوف بعض الأمراء في طريق العلماء ودعوتهم.

٥- مظاهر البذخ والترف عند بعض العلماء والأمراء.

تاريخ الدعوة في العهد العباسي: [١]

يبتدئ العهد العباسي من عام (١٣٢) للهجرة بولاية أبي العباس عبدالله السفَّاح الحكم إلى عام (٦٥٦) للهجرة عندما قتل الخليفة المستعصم بالله آخر حكام بني العباس. [٢]

ويتضح من التسمية أن هذه الدولة تنسب إلى شخص بعينه هو العباس عم النبي ﷺ؛ ذلك أن علي بن عبدالله بن عباس – جد الخلفاء من بني العباس والذي كان من أهل العلم والديانة – خرج من دمشق عاصمة الدولة الأموية، واستقر في ضاحية الحميمة، وكان موقع هذه البلدة ذا بعد استراتيجي وله تأثير

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص١٧١.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ٢/ ١٤.

في تكوين الدعوة إلى الدولة وتأسيسها، نظراً لبعدها عن أعين الأمويين وموقعها الجيد بين دمشق وفلسطين والحجاز، وكان استقراره فيها بعد بداية تكوين الدولة وتأسيسها الحقيقي.

ثم كانت هناك مرحلة أخرى أكثر تقدماً ونشاطاً في مسيرة التأسيس وهي المرحلة التي تولى فيها إمامة الدعوة محمد بن علي وراثة عن أبيه، مواكباً فيها نشاط بعض العلويين في الكوفة، ومتحداً معهم في شعار جامع، وهو (الرضا من آل محمد)، والذي جمع به قلوب الناس عليه.[١]

ولم تكن حركة العباسيين خبط عشواء، بل استطاعت في برنامجها أن تضع أمام عينها الخريطة الجغرافية والسكانية، فتأكد تميزها بالمنهج العلمي، ولا أدل على ذلك اختيارها للحميمة عاصمة ونواة للدعوة السرية في قيام الدولة، ثم تكثيف عملها في خرسان أقصى الشرق الفارسي، نظراً لأن الكوفة والبصرة ودمشق لا تتحد معها في الولاء.[٢]

عوامل نجاح قيام الدولة العباسية:

لاشك أن الله تعالى إذا أراد أمراً يسر أسبابه، وأن انتقال الحكم من اليد الأموية إلى اليد العباسية كان في ظروف سخرها الله لدولة بني العباس، وأهم وأبرز الأسباب على سبيل المثال لا الحصر:

١- وفِّقت الدعوة في بدايتها بتوحيد صفها الداخلي فجعلت الشعار هاشمياً، حتى يتحد الصف العباسي مع العلوي.

---

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الإمام الطبري، ٦/ ٤٤٨.

(٢) انظر: الدولة العباسية والمشرق الإسلامي، فتحي أبو سيف، ص ٢٠.

٢- رفعت شعارات براقة استمالت قلوب الناس إليهم مثل: المساواة، في الوقت الذي بلغت الشعوبية فيه والعصبية القبلية ذروتها، ومثل: الدعوة إلى الإصلاح، وركزت في دعوتها على العاملين الاقتصادي والاجتماعي.

٣- أن الله سخر لهم قادة فكر وعلم وحرب، نصحوا لهم غاية النصح، مثل ميسرة العبدي، وبكر بن ماهان، وأبي سلمة الخلال، وأكبر من ذلك أبو مسلم الخرساني الذي حمل لبني العباس لواء الحرب.

٤- اختيارهم لخرسان مكاناً لإشعال الثورة، نظراً لسوء الحالة الاجتماعية فيها بسبب الصراع القبلي والطبقي، فالقيسية واليمانية قد احتد الصراع بينهما، وقل مثله في الطبقية التي كان يكتوي العنصر الفارسي بنارها، فكانت الدعوة العباسية تتبادل النفع مع هذه المشكلة.

٥- طول الفترة التي قطعها بنو العباس في بناء الدولة حيث استغرق تأسيسهم وعملهم للدولة ما بين ثلاثين إلى خمسين عاماً.

أساليب ووسائل الدعوة في الدولة العباسية:

يعتبر العصر العباسي من العصور الزاهرة بالعلم والدعوة في التاريخ الإسلامي، ومن أهم وسائل الدعوة التي كانت تتماشى مع خط العلم سواء بسواء:

١- **مجالس المحدثين**: نال حديث رسول الله ﷺ في العصر العباسي رواجاً عاماً وتقديراً بالغاً من الجمهور، وقيض الله سبحانه وتعالى لخدمة علم الحديث أفواجاً من العلماء كانوا يمتازون بعلو همتهم وطموحهم وبشدة نشاطهم

وقوة احتمالهم وصبرهم وحدّة ذاكرتهم وقوة حفظهم، وأصبح العالم الإسلامي آنذاك مجالاً فسيحاً لتجول طلبة العلم من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب. ومن أجل ذلك لم تزل مجالس علم الحديث زاخرة بأفواج من المستمعين للحديث والمصغين إليه، فما حكاه الذهبي: «أن مجلس يزيد بن هارون ببغداد كان يحضره سبعون ألفاً، وقُدِّر المستمعون في مجلس سليمان بن حرب فكانوا أربعين ألفاً».[١] إن هذا الإقبال العظيم على مجالس علم الحديث في العصر العباسي الأول، أثبت بكل صراحة ووضوح أن الجمهور رفضوا أفكار الفرق الباطلة، ولم يقبلوا أي تأويل أو تحريف لكتاب الله مهما كان ذلك التأويل يتجاوب مع العقل البشري غير المهتدي بهدي الكتاب والسنة التي هي بيان رسول الله ﷺ كتاب ربه.[٢]

٢- **مجالس الفقهاء**: إن ما يواجهه المجتمع الإسلامي في ذلك العصر من المسائل الحديثة والوقائع المستجدة بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية استنفر لهذه المهمة رجالاً عباقرة يتصفون بالثقة والكفاءة والإخلاص وهم فقهاء الأمة الإسلامية.[٣] فكان مجتمع العراق ومجتمع ما وراء النهر ينعمان بفقه الإمام العظيم أبي حنيفة رحمه الله؛ إذ حاز صاحبه القاضي أبو يوسف رحمه الله منصب قاضي القضاة في عهد الرشيد، كما كان مجتمع

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ، الإمام الذهبي، ١/ ٣١٨.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول دروس لإصلاح الواقع الدعوي، عبد الحميد مظاهري ندوي، ص ٢٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٩٠.

الحجاز ينعم بفقه الإمام مالك بن أنس، وكانت حلقات درسه قائمة في المسجد النبوي الشريف، وانتشر فقهه في مصر وشمال إفريقية والأندلس بفضل الله ثم بفضل جهود تلاميذه، كما كانت الديار المصرية تتمتع بنتاج الفقيهين العظيمين الإمام ليث بن سعد والإمام محمد بن إدريس الشافعي، وكانت الشام تستنير من فقه الإمام الأوزاعي وسفيان الثوري، كما كانت بغداد تستفيد من فقه الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى رحمة واسعة. وهكذا هيأت الدعوة الإسلامية بواسطة هؤلاء العباقرة جواً تسهم من خلاله في المحافظة ما أمكن على حياة الأمة الإسلامية في اجتماعها ومعاملاتها واقتصادها كي لا تضيع ذاتها في خضم العصر العباسي الأول من بعض الانحرافات التي ظهرت.[١]

٣- **حلقات الزهاد والنساك**: انبثقت في محيط الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول جهة ثالثة لمقاومة تيارات الفساد الطاغية، وحازت على هذه الجبهة جماعة الزهاد والنساك، الذين كان لهم دور رائد في توعية الناس ونصحهم بأعمالهم قبل أقوالهم.[٢]

٤- **الرسائل**: يقصد بها تلك الرسائل التي يوجهها العلماء والدعاة إلى من يسألهم، ومن أمثلة ذلك: (رسالة الإمام أحمد بن حنبل إلى الخليفة المتوكل يجيبه عن سؤاله حول أمّ القرآن حينما كتب عبيد الله بن يحيى إلى الإمام

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول دروس لإصلاح الواقع الدعوي، عبد الحميد مظاهري ندوي، ص ٢٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩١.

أحمد بن حنبل رسالة يخبره فيها أن أمير المؤمنين المتوكل أمره أن يكتب إليه يسأله عن أمّ القرآن لا مسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة).[1]

٥- **الجهاد**: قام المسلمون في العصر العباسي باستخدام هذه الوسيلة داخل المجتمع الإسلامي وخارجه: (الجهاد ضد النصارى، والجهاد ضد القرامطة، والجهاد ضد الوثنيين).

مشكلات الدعوة في العصر العباسي:

لكل عمل شره ولكل شره فترة، ومن الطبيعي أن يفتر العمل في كل زمان وأن تعتريه عوائق وأحوال وهي المشكلات منها:

١- انحراف الدولة عن جادتها الدعوية فهذه هي المشكلة الكبرى التي واجهتها الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول والتي تسببت فيما بعد بالانحراف في النواحي الاجتماعية والقضائية والمالية والسياسية.

٢- وجود مذاهب مختلفة فكرية وكلامية نشأ بعضها من دسّ أعداء الإسلام كالسبيئة والشيعة، ونشأ بعضها من أجل الاعوجاج الفكري كالخوارج، كما حدث بعضها من جراء الاحتكاك بالأمم الأخرى وترجمة ثقافتها وعلومها ترجمةً لم تنظم كما كان من الواجب أن تنظم؛ كالمعتزلة والمرجئة والجهمية وغيرها، وجعلت هذه الفرق تحاول التدخل في حياة عامة المسلمين، كما أصبحت توجد عقبات في طريق الدعوة، وقد اقتضت هي بحد ذاتها أن يشتغل الدعاة بمقاومتها والرد عليها، وقد تضاعفت قوة اثنين

(١) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الإمام الذهبي، ١٨/ ٩٣.

منها خلال العصر العباسي الأول، وهما: (الشيعة، والمعتزلة).[١]

٣- عدم تبني الدولة الدعوة في الخارج ويعود السبب إلى نواحي الضعف التي حدثت في الكيان الإسلامي، إذا أن توجيه الدعوة إلى الخارج ينبني غالبًا على كون الكيان الإسلامي كيانًا دعويًا خالصًا، وبذلك تستطيع الدولة أن توجه دعوتها إلى الخارج وتدعو الأمم المجاورة إلى الخير الذي تستفيد منه، والدولة العباسية اشتغلت في بداية أمرها بتدعيم سطوتها وتوجيه قوتها إلى إخماد الثورات الداخلية، وبعدما استقر أمرها نجد الصوائف والشواتي نحو الروم والهجمات عليها، ويقود تلك الصوائف والشواتي في غالب الأحيان بعض القادة، وقد يقودها الخلفاء، كما قاد المهدي بنفسه قبل أن يلي الخلافة وبعدها وهو الأمر الذي ضمر في آخر عصورها.

تاريخ الدعوة في العهد العثماني: [٢]

يبتدئ العهد العثماني من عام (٦٩٨) للهجرة بتأسيس عثمان الأول بن أرطغرل الدولة العثمانية وانتهت بإسقاطها عام (١٣٤٣) للهجرة حيث بقيت الدولة ما يقارب (٦٤٥) عامًا. [٣]

وبلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول دروس لإصلاح الواقع الدعوي، عبد الحميد مظاهري ندوي، ص ٢٧٨.

(٢) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص١٧٥.

(٣) انظر: تاريخ الدعوة، جمعة الخولي، ٢/ ١٥٣.

الثلاثة: (أوروبا وآسيا وأفريقيا)، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا وشمالي أفريقيا. ووصل عدد الولايات العثمانية إلى ٢٩ ولاية، وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحى بعضها يُشكل جزءًا فعليًا من الدولة مع مرور الزمن، بينما حصل بعضها الآخر على نوع من الاستقلال الذاتي.

وأضحت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان الأول (القانوني) (حكم منذ عام ٩٤١هـ حتى عام ٩٨٧هـ) قوّة عظمى من الناحيتين السياسية والعسكرية، وأصبحت عاصمتها القسطنطينية تلعب دور صلة الوصل بين العالمين الأوروبي النصراني والشرقي الإسلامي، وبعد انتهاء عهد السلطان سليمان الأول (القانوني)، الذي يُعتبر عصر الدولة العثمانية الذهبي، أصيبت الدولة بالضعف وأخذت تفقد ممتلكاتها شيئا فشيئًا، على الرغم من أنها عرفت فترات من الانتعاش والإصلاح إلا أنها لم تكن كافية لإعادتها إلى وضعها السابق.

وانتهت الدولة العثمانية بصفتها السياسية سنة (١٣٤٣هـ)، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحكم القانون سنة (١٣٤٤هـ)، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائيًا في نفس السنة عند قيام الجمهورية التركية، التي تعتبر حاليًا الوريث الشرعي للدولة العثمانية.

عوامل نجاح قيام الدولة العثمانية:

١- أهم دولتين في آسيا الصغرى هما الدولة البيزنطية، ممثلة في إماراتها في آسيا، ودولةُ سلاجقة الروم، وكانتا قد وصلتا إلى حالة شديدة من الضعف والانهيار؛ نتيجة الصراع الطويل بين هاتين الدولتين، ونتيجة تعرض

البيزنطيين الأرثوذكس للغزو الكاثوليكي، وتعرُّض دولة السلاجقة لغزو المغول؛ مما جعل منطقة الأناضول تعيش فراغًا سياسيًّا، ساعد الدولةَ العثمانية في بداية تكوينها على أنقاض هاتين الدولتين المتداعيتين.

٢- بروز الطابع الديني المتَّقد حماسة لدى العثمانيين منذ عهد الأمير عثمان؛ إذ على الرغم من أن الأتراك قد بدؤوا الدخول في الإسلام في وقت مبكر، إلا أنه في عهد هذا الأمير زاد انتشار الإسلام فيهم، ويبدو أنهم قبل ذلك كانوا يعيشون حالة من الانتقال من الوثنية إلى الإسلام.

٣- ساهم سقوط القسطنطينية بتمكين العثمانيين من بناء قوة بحرية هائلة وتكوين أسطول بحري كبير كما أصبح العثمانيون أكثر استقراراً بعد الحياة البدوية.

٤- الاهتمام ببناء جيش قوي ومدرب ولذا تم تكوين الجيش الانكشاري وتهيئته بجميع أدوات القتال مما جعله يسهم في مد نفوذ الدولة وتوسعها الكبير.

أساليب ووسائل الدعوة في الدولة العثمانية:

١- اهتم سلاطين بني عثمان بالشعائر الدينية فبنوا المساجد وعمّروها وأوقفوا عليها الأوقاف وبنوا المدارس الدينية ورتبوا لها مصادر أنفاق دائمة.

٢- اعتنوا بالحج وصيانة البلاد المقدسة (مكة والمدينة والقدس) مما كان يصيبها من خراب وتهدم.

٣- قامت الدولة العثمانية بدور هام في نشر الإسلام في أصقاع شتى من الأقاليم الأوروبية، وكانت روح الجهاد الديني غالبة في إسلام العثمانيين، وازدادت

قوةً وصلابةً عندما استقروا في الأناضول على حدود أو على مقربة من الكيانات المسيحية المتناثرة.

٤- حافظت الدولة العثمانية على إسلام وعروبة سكان شمالي إفريقيا من أخطار الغزو الصليبي الاستعماري الأوروبي، الذي حملت لواءه البرتغال وإسبانيا، والمنظمة الصليبية المعروفة باسم فرسان القديس يوحنا، والتي اتخذت من جزيرة مالطة مستقرًّا ومقامًا.

مشكلات الدعوة في العصر العثماني:

١- إهمال اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، وهما المصدر الرئيس للتشريع، وكان يجب الاهتمام بها وتعلمها كونها لغة الإسلام، بالرغم من أن بعض السلاطين قد عمل على اهتمام المدارس باللغة العربية، وكان على الخلفاء أن يتعلموا هم العربية، ويشجعوا عليها.

٢- عدم الوعي الإسلامي الصحيح، إذ كان كثير من الناس لا يعرفون من الإسلام سوى العبادات، لذا كانوا يحرصون عليها وعلى تأديتها، وهذا أدى إلى انتشار الطرق الصوفية، وضعف فكرة الجهاد.

٣- ضعف عقيدة الولاء والبراء لدى سلاطين الدولة المتأخرين وموالاة الكافرين وإتباعهم واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين وهذا الأمر انعكس على المجتمع.

٤- إقرار المذهب الحنفي في كافة البلاد والتعصب له وتجاهل مختلف المذاهب وحتى آراء المجتهدين.

٥- انتشار الجهل والبدع بين الناس وتبني الدولة لها مثل المولد النبوي وانتشار الخرافات ودعمها أحياناً.

٦- نشرت الدولة العثمانية الشرك بنشرها للتصوف القائم على عبادة القبور والأولياء والاستغاثة والاستعانة بأصحاب الأضرحة والقبور والذبح والنذر لها، فقد قال (عبد العزيز الشناوي) في كتابه على سبيل المدح: (وقد كان من مظاهر الاتجاه الديني في سياسة الدولة تشجيع التصوف بين العثمانيين وقد تركت الدولة مشايخ الطرق الصوفية يمارسون سلطات واسعة على المريدين والأتباع، وانتشرت هذه الطرق أولاً انتشاراً واسعاً في (آسيا الوسطى) ثم انتقلت إلى معظم أقاليم الدولة وقد مدت الدولة يد العون المالي إلى بعض الطرق الصوفية وكان من أهم الطرق الصوفية النقشبندية والمولوية والرفاعية).

٧- الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة (البكداشية) وهي ما تزال منتشرة في ألبانيا كما أنها أقرب إلى التصوف الشيعي منها إلى التصوف السني وكان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيون ذاتهم (ولذا انتشر الشرك والكفر واندرس التوحيد في البلاد التي يحكمونها)، يقول الإمام سعود بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (ت ١٢٢٩ هـ) في رسالة له إلى والي العراق العثماني واصفاً حال دولتهم: (فشعائر الكفر بالله والشرك هي الظاهرة عندكم مثل بناء القباب على القبور وإيقاد السرج عليها وتعليق الستور عليها وزيارتها بما لم يشرعه الله ورسوله واتخاذها عيداً وسؤال أصحابها قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، هذا مع تضييع فرائض الدين التي أمر الله بإقامتها من

الصلوات الخمس وغيرها فمن أراد الصلاة صلى وحده ومن تركها لم ينكر عليه وكذلك الزكاة وهذا أمر قد شاع وذاع وملأ الأسماع في كثير من بلاد الشام والعراق ومصر وغير ذلك من البلدان).

وأما حرب العثمانيون للتوحيد فقد حاربوا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى كما هو معروف وأرسلوا الحملات تلو الحملات لمحاربة أهل التوحيد حتى هدموا الدرعية عاصمة الدعوة السلفية عام (١٢٣٣هـ)، وقد كان العثمانيون في حربهم للتوحيد يطلبون المعونة من النصارى، فقد عثر بعض الدارسين في (أوروبا) على وثائق كانت متبادلة بين (نابليون بونابرت) زعيم (فرنسا) و (الباب العالي) -كبير العثمانيين- بخصوص دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووجوب عمل اللازم تجاهها كخطر على مصالحهم في الشرق.

تاريخ الدعوة في المملكة العربية السعودية:

تأسست الدولة السعودية الأولى بمبايعة تاريخية بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب عام (١١٥٧هـ)، وكان أساسها تصحيح العقيدة وتطبيق الشريعة الإسلامية، ثم سقطت بعد هزيمتها من قوات ابراهيم باشا عام (١٢٣٣هـ).[١]

ثم تأسست الدولة السعودية الثانية على يد الأمير تركي بن عبدالله عام (١٢٤٠هـ)، امتداداً للأساس الذي قامت عليه الدولة السعودية الأولى، ثم

(١) نظر: الدولة السعودية الأولى من خلال كتابات الرحالة والمستشرقين، أحلام أبو قايد، ص٣٧.

سقطت بعد الهزيمة التي لحقتها من ابن رشيد عام (١٣٠٩هـ).[١]

وأما الدولة السعودية الثالثة فقد تأسست في اليوم الخامس من شهر شوال عام (١٣١٩هـ)، فقد تمكن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود من استرداد الرياض، وكان لهذا الحدث التاريخي أثره في قيام الدولة السعودية وتوحيد معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية، منها: توحيد جنوب نجد وسدير والوشم عام (١٣٢٠هـ)، والقصيم عام (١٣٢٢هـ)، والأحساء عام (١٣٣١هـ)، وعسير عام (١٣٣٨هـ)، وحائل عام (١٣٤٠هـ)، إلى أن تمكن من ضم بقية الأجزاء والإعلان عن قيام الدولة السعودية بتاريخ ٢١ جمادي الأولى عام (١٣٥١هـ).[٢]

وكان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأثر الواضح في قيام هذه الدولة، امتداداً للدولة السعودية الأولى والثانية، حيث تأسست على الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة، والدعوة إلى التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، ومحاربة البدع والخرافات، ونشر العلم الشرعي والعناية به وبأهله[٣].

---

(١) انظر: نشأة المملكة العربية السعودية، عبدالله العثيمين، ص٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤.

(٣) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، أحمد بن حجر آل أبو طامي، ص٥٣.

من أبرز أئمة الدعوة في الدولة السعودية:

١- الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٢- الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

٣- أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حسين وعبدالله وعلي وإبراهيم.

٤- الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٥- الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ.

٦- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٧- الشيخ عبد العزيز بن باز.

٨- الشيخ عبدالرحمن السعدي.

٩- الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

١٠- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.

أساليب ووسائل الدعوة في الدولة السعودية:

لا شك أن كثيرًا من الوسائل والأساليب في العهد السعودي كانت موجودة فيما مضى من العصور كمجالس العلم والوعظ وتأليف الكتب وغير ذلك مما سبق التطرق إليه في العصور السابقة، إلا أن ثمة وسائل ملحوظة في العهد السعودي الثالث، ويمكن التنبيه عليها في النقاط التالية:

١- الدعوة من خلال منظمات وهيئات متخصصة: سواء كان عبر المؤسسات الرسمية للدولة كوزارة الشؤون الإسلامية حيث تعمل على تنظيم الدروس والمحاضرات وبعث الدعاة وطباعة الكتب والمصاحف وترجمة الكتب

النافعة وتعيين الأئمة والخطباء وبناء المساجد والمراكز الإسلامية في الدول الأخرى وغير ذلك، وكالرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء وتعمل في إفتاء المسلمين في المسائل النازلة وغيرها، وكالرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكالمؤسسات التعليمية كالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وجامعة الإمام، وكالإدارات الخاصة بالدعوة والتوعية والإرشاد ببعض القطاعات الحكومية كوزارة الدفاع والحرس الوطني ووزارة الصحة، أو كان عبر منظمات محلية أو عالمية كمنظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والجمعيات الخيرية، ونحو ذلك، ولكل جهة مما ذكر جهود دعوية مختلفة، إما علمية أو إغاثية أو معنوية وغير ذلك.

٢- الوسائل الحديثة في الدعوة: كوسائل الإعلام المعاصرة من البرامج المرئية والإذاعية ومواقع الإنترنت والصحف والمجلات، والحاسوب وما يتصل به من البرمجيات التي تفيد الدعوة، ولا شك أن الوسائل الحديثة لا يخلو بعضها من سلبيات.

٣- تنظيم التعليم وافتتاح المدارس الحكومية، وإدخال تعليم البنات مع إشراف المشايخ وأهل العلم والفضل على وضع المناهج، ومن ذلك إنشاء الجامعات في أغلب مدن المملكة واحتوائها على التخصصات الخادمة للعلم والدعوة.

٤- المسابقات القرآنية المحلية كمسابقة الملك سلمان أو عالمية كمسابقة الملك عبدالعزيز بالإضافة إلى الدورات العلمية المكثفة، والدورات القرآنية المكثفة، ودورات حفظ السنة النبوية.

مشكلات الدعوة في العصر السعودي:

المشكلات والعوائق لا بد من معرفتها والتعامل معها ليكون العمل الدعوي مثمرًا، ويمكن تقسيم هذه المشكلات إلى قسمين:

أ - مشكلات وعوائق داخلية، منها:

١- قلة الدعاة، وذلك بسبب قلة الدروس والتعليم، وقد ضعفت هذه المشكلة كثيراً بعد تنظيم التعليم وافتتاح المعاهد والجامعات فتخرَّج بذلك ألوف الدعاة وطلاب العلم الشرعي.

٢- العصبيات القبلية.

٣- غلو البعض في الدين.

٤- الفرق والجماعات المنحرفة.

٥- انتشار الأمية والجهل.

ب- مشكلات وعوائق خارجية، منها:

١- علماء الضلال الذين يحاربون الدعوة السلفية، وغالبهم إما روافض أو متصوفة.

٢- الدعوات الهدامة كالقومية والاشتراكية والعلمانية وغيرها.

وهذه المشكلات يحتاج الداعية في التعامل معها إلى علم وحكمة وصبر وثبات، وحلها بالطرق الصحيحة.

أهمية الدعوة وحكمها وفضل القيام بها وخصائصها وأصولها [١]

قامت الدعوة الى الله تعالى على أصول راسخة ومنطلقات ثابتة وملامح ظهرت واطردت في مناهج الأنبياء في الدعوة عامة واكتمل بدر تمامها فى دعوته ﷺ خاصة، وفي ضوء هذه الأصول بقي أهل السنة والجماعة بهذا الواجب قائمين وعن الإسلام منافحين ينشرون علماً ويحققون توحيداً ويتبعون آثاراً ويربون جيلاً ويقيمون معروفاً ويهدمون منكراً ويجاهدون عدواً ويجمعون الدين علماً وعملاً.[٢]

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من أهمية الدعوة وحكمها وفضل القيام بها وخصائصها وأصولها، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التعريف بمفردات أصول الدعوة:

الأصول: جمع (أَصْل) والأَصْلُ في اللغة: أساس الشيء، قَالَ الْكِسَائِيُّ فِي قَوْلِهِمْ: (لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا فَصْلَ لَهُ): إِنَّ الْأَصْلَ الْحَسَبُ، وَالْفَصْلَ اللِّسَانُ، وقيل أنه: أَسفل كُلِّ شَيْءٍ.[٣]

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١/ ٢ / ١٤٣٨هـ.

(٢) انظر: مبادىء علم اصول الدعوة، محمد يسري، ص٥.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١/ ١٦.

والأصل في الاصطلاح: هو ما يُبتنَى عليه غيره، أو ما يفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره[١].

الدعوة في اللغة: أصلها (دعو)، ولها معانٍ كثيرة منها: الحثّ، والحضّ، والطلب، والنداء، والدعاء، والابتهال، والرجاء، والرغبة[٢].

تعريف الدعوة في الاصطلاح: يطلق ويراد به أحد معانٍ ثلاثة:

١- الدعوة بمعنى الإسلام: وهي مجموعة القواعد والأصول، التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه وتطبيقه [٣].

٢- الدعوة بمعنى نشر الإسلام وتبليغه: وهو البيان والتبليغ لهذا الدين، أصولاً، وأركانـًا، وتكاليفـًا، والحث عليه، والترغيب فيه[٤].

٣- الدعوة بمعنى الفن: علم يبحث فيه عن الكيفية التي تتم بها استمالة المكلفين إلى الإسلام وفق المنهج الشرعي الصحيح.

وكثيراً من عرَّف الدعوة بعدة تعريفات، واختلاف تلك التعاريف بحسب ما يراه كل منهم (المختصون) مناسبـًا لها فهو اجتهاد منهم، وهذه التعريفات وإن اختلفت فهي اختلاف تنوع لا تضاد، فكل واحد يسعى ويجتهد للخروج بتعريف شامل مانع، بحيث يختصره، ولا يخرج عن مصطلح الدعوة، منها:

١- الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به،

---

(١) انظر: التعريفات، علي الجرجاني، ١/ ٢٨.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٤/ ٢٥٧.

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبوالفتح البيانوني، ص ١٤.

(٤) انظر: فصول في الدعوة الإسلامية، حسن عيسى عبدالظاهر، ص٢٦.

وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه.[١]

٢- الدعوة إلى دينه وهو الإسلام.[٢]

٣- تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة.[٣]

٤- العلم الذي به تعرف كافة المجالات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق.[٤]

٥- هي دعاء المكلفين من الجن والإنس إلى عبادة الله تعالى وتقواه، فهي دعوة إلى أمرين:

أحدهما: عبادة الله تعالى وحده، بدعائه وحده، والثناء عليه، وتعظيمه.

والآخر: تقواه بترك الشرك والبدع، والأهواء المخالفة لشرعه، والبراءة منها بالقول والفعل.[٥]

العلاقة بين مصطلح الدعوة وبين غيرها من المصطلحات الدعوية:

هناك مفردات ومصطلحات دعوية متعددة ذات العلاقة الوثيقة والتداخل الوطيد بينها وبين مصطلح الدعوة؛ فكان لزاماً الوقوف على تعريفات محددة

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٥/ ١٥٧-١٥٨.

(٢) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٥.

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص١٧.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية، وأصولها، ووسائلها، أحمد علوش، ص١٠.

(٥) انظر: تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة، عبد الله بن صالح القصير، ص٩.

واضحة لبعض تلك المصطلحات الدعوية حتى يتبين الفرق أو تظهر العلاقة بينهما، وهي كالآتي:

١- **الإصلاح**: ترجع هذه الكلمة في اللغة إلى مادة (صلح)، وهي ضدّ (فسد)؛ فالصّلاح ضدّ الفساد، والإصلاح ضدّ الإفساد، وصَلُحَ الشيءُ: إذا كان نافعًا، ومفيداً، ومناسبًا، ومستقيمًا، سليمًا من العيب والعطب، وأصلح الشيء: أزال عنه الفساد الذي علق به ولحقه[١].

ومن المعنى اللغوي يتضح ارتباط الإصلاح بوجود فساد فيكون المعنى الاصطلاحي للإصلاح: هو الجهد المشروع الذي يقوم به الداعية لإزالة مظاهر الفساد، والانحراف لدى الفرد والمجتمع.

فبين مصطلح الدعوة، ومصطلح الإصلاح؛ علاقةٌ وثيقةٌ من حيث المفهوم التي تتمثل في العموم والخصوص؛ إذ الدعوة عامةٌ في كل وقت وحين، أما الإصلاح ففيه خصوصٌ مرتبطٌ بوجود فساد؛ لكنه بكل حال يقع ضمن دائرة الدعوة، وفي محيطها من حيث المفهوم والعمل[٢].

ولا يوسم أحدٌ بالإصلاح الشرعي إلا بعد النظر إليه من خلال أربعة أمور، هي:

أ) صلاح حالته العلمية والعملية واستقامتها.

ب) طبيعة الإصلاح الذي يدعو إليه، ومدى موافقته للشرع المطهر.

ج) الأساليب والوسائل التي يستخدمها في عملية الإصلاح، ومدى سلامتها،

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٣٠٣.

(٢) انظر: مجلة الدراسات الدعوية، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، العدد الأول، محرم ١٤٢٩هـ، تعريفات ومفاهيم، عبدالله المجلي، ص٢٥٦.

وعدم مخالفتها للشرع.

د) الأهداف التي يسعى لتحقيقها سواء ماكان منها معلناً منه، أو مستنبطاً من خلال مايقدم من رؤى، ويطرح من برامج، ويستخدم من وسائل، ويسلك من طرق [١].

٢- **التجديد**: من معانيه اللغوية: ضدّ القديم والبالي، وجدّد الأمر: أحدثه، أي جعله حديثاً مجدداً[٢].

ويعرَّف التجديد اصطلاحاً: إحياء ما اندرس من أمور الدين في زمن مخصوصٍ من شخص مخصوص [٣].

وهو أخصّ من الإصلاح في المفهوم الدعوي: فالتجديد يكون من شخص معينٌ له شروطه وصفاته، في وقت معين، وهو رأس القرن كما دل عليه قول النبي ﷺ: «**إن الله يبعث لهذ الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[٤].

ولايوصف أحدٌ بأنه مجدد إلا إذا توفرت فيه أربعة أمور، هي:

أ) أن يكون من أهل السنة والجماعة.

ب) أن يكون عالماً بالكتاب والسنة.

ج) أن يكون من أهل الدعوة والصلاح والاستقامة.

---

(١) انظر: مجلة الدراسات الدعوية، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، العدد الأول، محرم ١٤٢٩هـ، تعريفات ومفاهيم، عبدالله المجلي، ص٢٥٧.

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، ١/ ٩٢.

(٣) انظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، ص ٣٢.

(٤) رواه أبو داود، ١١/ ٣٦٢.

د) أن يكون على رأس كل مائة سنة.

وبهذه الشروط تضيق دائرة التجديد، فلايدخل فيها إلا عدد محدودٌ من علماء الأمة وأئمتها، أما دائرة الإصلاح فهي أوسع وأشمل، ودائرة الدعوة هي الدائرة الكبرى التي يدخل فيها جميع المسلمين العاملين للإسلام [١].

٣- **الإرشاد**: الرشاد: ضدّ السّفه، والإرشاد: الهداية والدلالة [٢]، وهو دلالةٌ المدعو إلى مافيه صلاح حالته الدينية والدنيوية.

٤- **التبليغ**: له معانٍ لغوية كثيرة منها: الإيصال بوعي وإدراك واجتهاد وبيان ووضوح [٣].

وهو في الاصطلاح: إيصال المضمون الدعوي على وجه حريٌّ بأن يقبله المدعو لوضوحه وبيانه[٤].

٥- **النصيحة**: نصح: نصح الشيء: خلص، والناصح: الخالص من العسل وغيره. وكل شيء خلص، فقد نصح، والنصح: نقيض الغش وكل ماخلا من الشوائب [٥].

واصطلاحًا: الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عن ما فيه الفساد [٦].

---

(١) انظر: مجلة الدراسات الدعوية، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، العدد الأول، محرم ١٤٢٩هـ، تعريفات ومفاهيم، عبدالله المجلي، ص٢٥٨.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ١٧٦.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير،١/ ١٥٣.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٦١.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٦١٦-٦١٨.

(٦) انظر: التعريفات، علي الجرجاني، ١/ ٣١٠.

وقيل بأنها: قولٌ أو عملٌ يريد صاحبه صلاح المعمول لأجله، وأكثر ما يطلق على الأقوال النافعة المنقذة من الأضرار، ويكون بالعمل كقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١][(١)].

٦- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وهو يتضمن معنى الإلزام للمأمور والمنهي بدلالة كلمة (أمر) وكلمة (نهي) وهي مرتبة أخص من معاني البيان والتوضيح والحث والحظ والرغبة والرجاء التي هي من معاني الدعوة [(٢)]، وقد عرفه الجرجاني بأنه: (حمل الناس بالقول أو الفعل على عمل الخير والبر، وترك الشر والإثم)[(٣)]، وهو بكل حال داخلٌ في المعنى العام للدعوة.

أهمية الدعوة وحاجة الناس إليها:

مقام الدعوة في الإسلام عظيم، بل هي أساس من أسس انتشارِه، وركن من أركان قيامه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلولا الدعوة إلى الله لما قام دين، ولا انتشر إسلام، وبالدعوة إلى الله تعالى يُعبَد الله وحده، ويهتدي الناس، فيتعلمون أمور دينهم، من توحيد ربهم، وعبادته، وأحكامه من حلال وحرام، ويتعلمون حدود ما أنزل الله، وبالدعوة إلى الله تعالى: تستقيم معاملات الناس، من بيع وشراء، وعقود، ونكاح، وتصلح

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢/ ٦١.

(٢) انظر: مجلة الدراسات الدعوية، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، العدد الأول، محرم ١٤٢٩هـ، تعريفات ومفاهيم، عبدالله المجلي، ص٢٦٠.

(٣) انظر: التعريفات، علي الجرجاني، ١/ ٥٤.

أحوالهم الاجتماعية والأسرية، وبالدعوة إلى الله تعالى تتحسن أخلاق الناس، وتقل خلافاتهم، وتزول أحقادهم وضغائنهم، ويقل أذى بعضهم لبعض.

وإذا ما قامت الدعوة على وجهها الصحيح، واستجاب الناس لها، تحقق للدعاة وللمدعوين سعادة الدنيا والآخرة، وإذا استجاب الناس للدعوة، وعملوا بالشريعة، حُفظت الأموال، وعصمت الدماء، وصينت الأعراض، فأمن الناس على أنفسهم، واطمأنوا على أموالهم وأعراضهم، وانتشر الخير، وانقطع الفساد.

كل ذلك لا يتم إلا بالدعوة إلى الله عز وجل، لذلك كان للدعوة في الإسلام، الحُظوة الكبرى، والقِدْح المعلاّ، والفضل العظيم، وكانت وظيفة الأنبياء الأولى، فالدعوة إلى الله، شرف عظيم، ومقام رفيع، وإمامة للناس، وهداية للخلق، فضلاً عما ينتظر الداعين في الآخرة من أجر عظيم، ومقام كريم.

حكم الدعوة إلى الله تعالى:

الدعوة إلى الله تعالى واجبة على عموم الأمة وجوبًا كفائيًا وواجبة وجوبًا عينيًا على كل فرد من المسلمين بحسب استطاعته وقدر علمه، وذلك لقول الله تعالى آمرًا هذه الأمة بالدعوة إليه سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، واختلف أهل التفسير في ﴿مِّنكُمْ﴾ هل هي للتبعيض أم لبيان الجنس، ورجَّح الطبري والقرطبي وابن كثير أنها للتبعيض، قال القرطبي: (ومن في قوله ﴿مِّنكُمْ﴾ للتبعيض ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء، وقيل: لبيان الجنس، والمعنى: لتكونوا كلكم كذلك، قلت: القول الأول أصح، فإنه يدل على

أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية).

ويمكن الجمع بين القولين بأن تفرغ طائفة من المسلمين للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية على الأمة، وأن قيام كل فرد بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب قدرته فرض عين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] أن المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)].

ودلت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة على وجوب الدعوة إلى الله -بمعناها العام- على كل مسلم ومسلمة، كلاً في حدود وسعه.

والوسع يشمل: الوسع العلمي، والمالي، والبدني، والقدرة على أداء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**» الحديث.

---

(١) رواه مسلم، باب: «كون النهي عن المنكر من الإيمان»، ١/ ١٦٧

وهذه الألفاظ (**بلِّغ**) (**ادع**) (**بلِّغوا**)، أوامر صريحة، وإطلاقات شاملة، والأصل في الأمر الوجوب، وفي الإطلاق الشمول، فهي توجب الدعوة على كل مسلم ومسلمة، كُلاً في حدود وسعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه، إذا لم يقم به غيره». (١)

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى-: «دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض، وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية، بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة». (٢)

فضل القيام بواجب الدعوة والحرص على هداية الناس:

١- **وظيفة الرسل**: الدعوة إلى الله وظيفة الرسل عليهم السلام والتابعين لهم من الأمة الأعلام فعندما يستشعر الداعية أنه يقوم بمهمة الرسل هناك يكفي به فخراً: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] وأنعم به شرفاً أن يكون الداعية من أتباع المصطفى الأخيار.

٢- **أحسن الأقوال**: من فضائل الدعوة إلى الله فضل القول ولا أحسن قولاً

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ١٥/ ١٦٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ١/ ١٣٣.

ممن دعا إلى الله فهو أحسن القائلين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

٣- **أجر الداعية**: يكفي الداعية تحفيزاً بأن له من الأجر مثل فاعله، قال رسول الله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» (١) وجاء التحفيز لعلي بن أبي طالب قدوة الدعاة من النبي ﷺ حين أرسله إلى خيبر، وقال له: «**فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك حمر النعم**» (٢) يعني خير لك من القصور والأموال والسيارات ومثَّل النبي ﷺ بحمر النعم لأنها أفضل ما تملكه العرب في ذلك الوقت.

٤- **الاصطفاء على الناس**: حيث يقول النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**» (٣) فالداعية مراد به الخير، فكيف بمن تفقه في الدين وفقَّه الناس، وكيف بمن يتعلم ويُعلِّم الناس العلم والخير.

٥- **غبطة للداعية**: يكون ذلك فيما أتاه الله من الفقه والحكمة حيث قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنين رجل أتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقفه بها ويعلمها**» (٤).

٦- **الواجب الكفائي**: الداعية كما أنه يدل الناس على الخير فهو يكفيهم أثم ترك الدعوة فعندما يقوم الداعية بواجب الكفائي حتى لا تأثم الأمة حيث

---

(١) رواه مسلم، باب: «فضل إعانة الغازي»، ٩/ ٤٨٦.

(٢) رواه البخاري، باب: «دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة»، ١٠/ ٩٤.

(٣) رواه أحمد، ٦/ ١٨٦.

(٤) رواه أحمد، ٨/ ٤.

يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٧- **وقاية الدعاة من اللعنة:** عندما تحل بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

٨- **دعاء نبوي للدعاة:** دعاء النبي ﷺ لمن سمع حديثًا ثم نقله إلى من لم يسمعه حيث قال: «**نظَّر الله أمرأً سمع منا حديثًا فنقله إلى من لم يسمعه فربَّ حامل فقه غير فقيه وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**» (١).

٩- **نجاة الدعاة:** ينجي الله تعالى الدعاة إليه عن السوء إذا حل العذاب بالذين ظلموا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

خصائص الدعوة الإسلامية: (٢)

الخصائص جمع خصيصة وهي ما ينفرد به شيء ما، وفيما يلي أبرز خصائص الدعوة الإسلامية:

١- **عالمية الدعوة الإسلامية** فهي ليست للعرب وحدهم أو لأهل الحجاز، وإنما للناس كافة إلى قيام الساعة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً

---

(١) رواه أحمد، ٩/ ٤٧٧.

(٢) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص٢٦٩-٢٩٣.

لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

٢- **ناسخة لباقي الأديان السماوية والشرائع السابقة**، ومهيمنة على جميع الملل والنحل، بل لا يقبل الله غير الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

٣- **الشمول (الثبات والمرونة)**، فهي مرنة تتكيف مع جميع ظروف المكلفين فهي صالحة لكل زمان ومكان، وذلك لكون نصوص الوحيين مناسبة للظروف المكانية والزمانية على مر العصور، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٤- **متجددة الدعوة**، فليست كالأديان السابقة كل نبي يأتي بشريعة لقومه، بل إن أفراد هذه الأمة من ورثة الأنبياء هم من شرفوا بتولي الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، بل إن الله يبعث من أمة محمد ﷺ على رأس كل قرن من يجدد أمر دينها كما ذكرنا سابقًا، ويعيدها إلى ما كانت عليه، أمثال الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

٥- **مصادرها محفوظة من الزيادة أو النقصان أو التبديل إلى قيام الساعة**، وليس كالأديان السماوية الأخرى التي حُرفت وبُدلت وفُقدت، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، بل جاء الإسلام ناسخًا لها كما ذكرنا سابقًا.

أصول الدعوة إلى الله تعالى:

ذكر الدكتور عبدالكريم زيدان عن أصول الدعوة في كتابه بأنها على أربعة أركان، هي: «موضوعها، والداعي، والمدعو، والوسائل والأساليب»[1].

ثم فصّل لكل أصلٍ منها في باب مستقل فمهّد بتمهيد يجمع فيه تلك الأصول الأربعة، حيث قال: نقصد بالدعوة: (الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والمقصود بالدعوة إلى الله: الدعوة إلى دينه وهو الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، الذي جاء به محمد ﷺ من ربّه سبحانه وتعالى، فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وهذا هو الأصل الأول للدعوة.

وقد بلّغ الرسول الكريم ﷺ هذا الإسلام العظيم أحسن تبليغ وأكمله وظل يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جواره الكريم ولهذا أرسله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦]. فهو ﷺ الداعي الأول إلى الإسلام فالداعي إذن هو الأصل الثاني للدعوة.

والذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وبلّغهم رسالته هم العرب وغيرهم؛ لأن رسالته عامة إلى جميع البشر غير مقصورة على العرب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فالمدعو إلى الإسلام إذن هو الأصل الثالث للدعوة.

---

(١) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص ٥.

وقد قام رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل والأساليب والمناهج التي أوحى بها الله إليه والثابتة في القرآن والسنة النبوية الكريمة، وهذه الوسائل والأساليب وما يتصل بها هي الأصل الرابع للدعوة)[1].

تعريف الأركان لغة: جمع ركن، وهو أحد الجوانب التي يستند إليها الشيء ويقوم بها، وهو جزء من أجزاء حقيقة الشيء، يقال: ركن الصلاة وركن الوضوء.

تعريف الأركان اصطلاحًا: ما يقوم به ذلك الشيء، إذ قوام الشيء بركنه.

والمقصود بأصول الدعوة الأجزاء التي تمثل حقيقة الدعوة، ولا تقوم الدعوة إلا بها، وهي على أربعة أركان:

الركن الأول: الداعي:

وهو المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه، فهو القائم بالدعوة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦].

الركن الثاني: المدعو:

وهو من تُوَجَّهُ إليه الدعوة مطلقًا قريبًا أو بعيداً، مسلمًا أو كافراً، ذكراً أو أنثى.

أ – حقوق المدعو :[2]

١ – **ينبغي على الدعاة أن يخرجوا للقاء المدعوين،** بهدف دعوتهم إلى الله، فلا

---

(١) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص٥١.

(٢) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص٥٨٥.

يصح انتظار مجيئهم، أو أن تكون دعوتهم عرضـًا، أو دون سابق قصد وترتيب، وما إتيان النبي ﷺ قومه في مواسمهم، وأسواقهم، ودعوتهم إلى التوحيد الخالص، وعبادة الله، إلا تأكيداً لهذا الحق.

٢- **الاهتمام بدعوة الأقارب البدء بهم –من باب أولى– دون إهمال الأباعد،** لأن إيمان أقارب الداعية وأهله بدعوته يخفف عنه كثيراً من المعاناة والمصاعب التي قد تعترضه، لذا كان من هدي النبي ﷺ البدء بأهله وأقاربه وأصحابه.

٣- **ينبغي على الدعاة أن يبلغوا دعوتهم إلى جميع المدعوين، دون استهانة بأحد مهما كان شأنه،** فإن النبي ﷺ لم يفرق في دعوته وتبليغها للناس، بين قائد ومفرد، وبين قوي وضعيف، أو غني وفقير، إذ ربما يكون الخير كل الخير فيمن تزهد فيهم العين، ومن الأدلة على ذلك معاتبة الله عز وجل النبي ﷺ، حينما أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع كونه مشغولاً بغيره من عظماء قريش وسادتهم، وقد طمع في إسلامهم، وفي ذلك إشارة واضحة للداعية أن يراعي قلوب الضعفاء والفقراء أن تنكسر، وأن النظر إليهم مع إيمانهم أولى من الإقبال على الأغنياء طمعـًا في إيمانهم، كما ذهب أهل العلم.

٤- **يتوجب على الدعاة التوجه إلى المدعوين بالحسنى، والتخلق معهم بأخلاق الإسلام،** والصبر خلال ذلك حتى يحقق الداعية هدفه من هداية لهم، أو إقامة الحجة عليهم، ثم الارتقاء بهم وإعدادهم.

وقد يتساءل البعض عن الحكمة في كون المدعو يُؤتى ويُدعى ولا يأتي:

وقد أجاب بعض الباحثين على ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ بتبليغ الدعوة، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بالنهوض والتنقل بين المدعوين كي تصل الدعوة بصورة صحيحة.

الوجه الثاني: إن شفقة النبي ﷺ على عباد الله وحرصه على هدايتهم، وجلبهم إلى الإسلام، دفعه إلى إتيان منازلهم ونواديهم وساحاتهم، وقد بلغت شفقة النبي ﷺ حداً كبيراً من الحزن على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، حتى نزلت آيات القرآن تواسيه، وتحثه ألا يهلك نفسه، وألا يجزع لإعراضهم عن دين الله، قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ [الكهف: ٦].

الوجه الثالث: إن الإنسان بقدر بعده عن دعوة الله عز وجل، فإن قلبه يتعرض لآفات المعاصي، بحيث يصل بعضهم إلى درجة لا يشعر فيها بأمراض القلوب التي أصابته، مما يستدعي دور الدعاة إلى الله كي يخبروه بحالته، ويقدموا له العلاج الشافي لما ألم به بسبب إعراضه عن الدعوة، وهو ما لا يتحقق – غالبًا – إلا بالمجيء إلى المدعو وإتيانه.

الوجه الرابع: ما يعود على الداعية والدعوة من فائدة، فلكي يحقق الداعية التمكين لدعوته ، وينجح في انتشارها واستمراريتها، فلا بد من مؤازرين وأعوان له على الطريق، وهو ما لا يمكن تحقيقه بالشكل المطلوب دون إتيان المدعوين والذهاب إليهم، ولعل إتيان النبي ﷺ الخزرجيين الستة عند العقبة، وهم يحلقون رؤوسهم، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فانصرفوا راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ دليل على ذلك.

ب- واجبات المدعو: [١]

١- **استجابته للحق الذي يُدعى إليه،** أخبر الله عز وجل في كتابه أن من صفات المؤمنين أن يستجيبوا لله ورسوله إذا ما دعوا لذلك ، وأنهم إن فعلوا فقد سلكوا سبيل الفوز والفلاح، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور: ٥١] وقد جعل الله عز وجل إجابة الدعاة وامتثال دعوتهم أمراً ملزمًا للمدعوين، حتى لو كانوا من الجن، ومن ذلك إنذارهم قومهم بعد سماعهم كلام الله عز وجل من رسوله ﷺ وذلك بصيغة الحث والأمر ، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣١] وفي ضوء ذلك فإن المدعو إذا ما بلغه حقه من توجيه الدعوة إليه ، فإن عليه الإجابة وعدم الإعراض .

٢- **تطبيق أحكام الإسلام وتعاليمه، والقيام بواجب الدعوة إلى الله،** وينبغي للمدعو الالتزام بمنهج الإسلام، وأن يجعله واقعًا في حياته فلا يليق به أن يدّعي الانتساب لدين الله عز وجل، ثم لا يعمل بمقتضياته ولا يفي بمستلزماته، والتي من بينها التفاعل مع دعوة الله عز وجل، ما أعده الدعاة من مناهج وبرامج للتأهيل، كي يرقى المدعو إلى درجة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، ومن ثم يقوم بواجبه تجاه دعوة الإسلام.

ج- أصناف المدعوين:

١- **المسلمون أو المؤمنون:** وهم المعرفون في الاصطلاح الدعوي بأمة الاستجابة.

---

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص٥٩٤.

٢- **الكافرون**: الذين يدخلون في الاصطلاح في أمة الدعوة، وهؤلاء لم يقتنعوا بالإسلام ولم يدخلوا فيه، وأقسام هذا الصنف:

أ) الجاحدون الملحدون: هم الذين ينكرون وجود الله -عز وجل- كما هو حال الدهريين.

ب) المشركون الوثنيون: وهم الذين أشركوا مع الله في الاعتقاد أو في العبادة، مثل مشركي العرب.

ج) أهل الكتاب: وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ كاليهود والنصارى.

د) المنافقون: وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وهم أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس، وهؤلاء يُدعون إلى الإيمان بالله وحده -عز وجل- وإلى الرجوع عن كفرهم وشركهم، ولكل صنف أسلوبه في الدعوة.

والمسلمون يمكن تصنيفهم من حيثيتين: من حيث الاهتداء والضلال، ومن حيث قوة أو ضعف التزامهم بالإسلام.

القسم الأول: غالباً ما يستعمل في مقام الحكم على العقائد، وذلك لأن المسلم قد يضل في عقيدته ضلالاً لايخرجه من الملة، كأن يكون صاحب بدعة خطيرة لا يكفر بها.

القسم الثاني: ينقسمون إلى ثلاثة أقسام كما ذكر الله -عز وجل- في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في أتباع الأنبياء والرسل، وتكون دعوة كل

صنف من هذه الأصناف، كل بحسب حاله وموقعه من الاستجابة للحق، فيُدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخير، ويُدعى المقتصد إلى الثبات على الطاعة، وتجنب المعاصي، ويُدعى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه وفجوره، والالتزام بأمر الله وحكمه.

د - سمات المدعو: (١)

١- سرعة استجابة المؤمن للموعظة والتذكير.

٢- من سمات المدعوين بشكل عام: طلب المزيد من الخير.

٣- من سمات النساء: شدة العاطفة عندهن، وسرعة التأثر.

٤- من سمات الملأ الغالبة: التكبر، وشدة التعلق بالدنيا.

٥- من سمات اليهود: شدة الخصام والمجادلة.

٦- من سمات الأعراب: الجفاء، وعدم الاهتمام بالمظهر، ورفع الصوت، والجرأة والعجلة.

الركن الثالث: موضوع الدعوة:

موضوع الدعوة الإسلام الذي أوحى الله تعالى به إلى نبيه محمد ﷺ، متمثلاً في القرآن والسنة، فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى دينه الذي قال عنه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والإسلام هو الدين الخاتم الذي أكمله تعالى لعباده وارتضاه لهم بفضله ونعمته، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص٥٧٩.

أ - أقسام موضوع الدعوة:

موضوع الدعوة يشمل ثلاثة جوانب:

١- **جانب العقيدة** :المشتملة على أصول الدعوة، وهي عبارة عن الإيمان بالله تعالى، وبرسوله ﷺ، وبالملائكة وبالكتب المنزلة، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، ويتضمن تمييز العقيدة الصحيحة من الفاسدة، كالشرك والبدع.

٢- **جانب الشريعة** :المتكونة من فروع الدعوة، وهي التشريعات والعبادات التي فرضها الله تعالى.

٣- **جانب الآداب والأخلاق**: وهي النتاج الضروري للعقيدة والشريعة، وهي مجموعة المحاسن النفسية، وتظهر آثارها في الأقوال والأفعال[١].

وهذه الجوانب الثلاثة وإن بدت للناظر كأنها منفصل بعضها عن بعض، إلا أنها في الحقيقة مترابطة متماسكة، يفضي أولها إلى تاليها، ويرجع تاليها إلى ما قبله، فالعقيدة الصحيحة أساس يقوم عليه السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي[٢].

ب- ترتيب موضوعات الدعوة:

ومن التدرج ترتيب موضوعات الدعوة حسب أهميتها الشرعية، فلا يُقدم موضوع على آخر، هو أهم منه، وإن الأصل في أوليات الدعوة الذي يجب على الدعاة الالتزام به هو ما يأتي:

١- التوحيد وقضايا العقيدة.

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله تعالى، علي عبدالحليم محمود، ١١٣/ ١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١١٣/ ١.

٢- أركان الإسلام، وخاصة الصلاة، وما يتصل بها من أحكام الطهارة.

٣- ثم تأتي بقية الموضوعات على حسب أهميتها وتقديم الشارع لها.

الركن الرابع: الأساليب والوسائل:

أ - أساليب الدعوة:

تعريف الأسلوب في اللغة: الطريق، والمذهب، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته.

تعريف الأسلوب في الاصطلاح: الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته.

ب - أنواع أساليب الدعوة:

تعود الأساليب في مجملها إلى ثلاث مجموعات، هي:

١- مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان، والتي بمجموعها تمثل المنهج العاطفي، كأسلوب الوعظ والتذكير، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب تحريك العاطفة الإيمانية وتهييجها، وأسلوب الدعاء للمدعو.

٢- مجموعة الأساليب التي تدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار، والتي بمجموعها تمثل المنهج العقلي، كأسلوب المقارنة بين الحسن والقبيح، وأسلوب التشبيه، وأسلوب المناظرة، وأسلوب التوضيح والتعليل العقلي، وأسلوب الرد على الشبهات.

٣- مجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب الانسانية، والتي بمجموعها تمثل المنهج الحسي، كأسلوب القدوة الحسنة، وأسلوب ذكر الداعية تجاربه وما يظهر عليه، وأسلوب تحفيظ المدعو، وأسلوب الإحسان للمدعوين ومساعدتهم.

٤- الأساليب العامة، والتي تشمل الأساليب السابقة، أو بعضها، كأسلوب الخطابة، وأسلوب القصص، وأسلوب التعليم، وأسلوب السؤال والجواب.

ج- وسائل الدعوة: (١)

تعريف الوسائل في اللغة: ما يُتوصل ويُتقرب به إلى الشيء، توسل إلى ربه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل، وهي الواسلة، والواصلة، والقربى، وجمعها وسائل ووُسُل.

تعريف الوسائل في الاصطلاح: ما يستعمله الداعية من الوسائل الشرعية الحسية، أو المعنوية ينقل بها دعوته إلى المدعوين.

وقيل: ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية.

وقيل: ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة.

د - أنواع وسائل الدعوة:

١- **الوسائل المعنوية:** جميع ما يعين الداعية على دعوته من أمور قلبية، أو فكرية، كالصفات الحميدة، والتفكير والتخطيط وما إلى ذلك من أمور لا تُحس ولا تُلمس، وإنما تعرف بآثارها.

٢- **الوسائل المادية:** جميع ما يعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة، وذلك كالقول، والحركة، والأدوات، والأعمال، ويمكن تقسيم الوسائل المادية إلى ثلاثة أنواع:

أ- الفطرية: وهي الوسائل الموجودة في فطرة الإنسان وجبلته، كالقول والحركة.

---

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص٦٧٧-٦٩٩.

ب- الفنية: وهي الوسائل التي يكتسبها الإنسان كسبًا، ويتعلمها ويتفنن في إيجادها وتطويرها، كالكتابة، والإذاعة والتلفاز.

ج- التطبيقية: وهي ما يقابل الوسائل النظرية من: إعمار المساجد، وإنشاء المؤسسات الدعوية، الخطب المنبرية، تأليف الكتب، المحاضرات.

هـ - أمثلة على وسائل الدعوة:

١- إرسال الرسل والدعاة.

٢- تسلية المدعوين وتنشيطهم.

٣- الجهاد في سبيل الله عز وجل.

٤- الخطابة على المنبر أو مكان مرتفع.

٥- الزيارة والعيادة.

٦- الكتب والرسائل.

٧- وسائل التواصل الجديدة.

و - الخصائص العامة للوسائل الدعوية

١- **خصيصة الشرعية**: نعني بها انضباط جميع الوسائل الدعوية بحكم الشرع، فلا يجوز للداعية الخروج على أحكام الشرع في مناهجه وأساليبه ووسائله، لأن الدعوة في حقيقتها طريقةُ تطبيق الشريعة، ومنهجها الذي رسمه الله لها، فلا يصح الخروج عليه في أي جانب.

٢- **خصيصة التطور**: الأصل في الوسائل والأساليب التطور والتجدد، تبعًا لتطور عادات الناس وأعرافهم، ولتقدم العلوم والفنون، فإن لكل عصر

أساليبه ووسائله في جميع نواحي الحياة، وإن هذه الوسائل المعاصرة قد تشترك مع وسائل عصر سابق، وقد تختلف عنها، فالداعية الحكيم هو الذي يختار لكل عصر وسائله المناسبة له، والموجودة فيه.

ز - الفرق بين الوسائل والأساليب:

بينهما عموم وخصوص فالعموم بينهما أن كليهما يتوصل بهما إلى الغاية والهدف الدعوي، والوسائل أعم فتدخل فيها الأساليب، والخصوصية أن الأساليب متعلقة بالمؤثرات المباشرة في المدعو، مثل: «الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والقصة»، وأما الوسائل فهي آلية حاملة للأساليب، مثل: «وسائل التواصل الاجتماعي، البث المباشر، الرسائل»[1].

ومما سبق يتبين لنا أن الوسائل تختلف عن الأساليب بأمور منها:

١- غالبا الوسائل تكون حسية والأساليب معنوية.

٢- الوسائل تنقل الأساليب.

ح- ضوابط الوسائل والأساليب:

إن لوسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها ضوابط حتى لا تنحرف عن قواعد الشرع، ولا تخرج عن الأهداف التي وضعت من أجل نجاح الدعوة الإسلامية، والضابط في الوسائل والأساليب الدعوية لنا فيه أسوة بالنبي ﷺ في قصة بداية الأذان حيث إنه وسيلة لإظهار شعار الإسلام وكلمة التوحيد والإعلام بدخول وقت الصلاة ومكانها، والدعوة إلى الجماعة.

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص١٨.

وينبغي على الداعية معرفة الضوابط الشرعية للوسائل، ومراعاة أحوال من تستخدم معهم، حتى لا يقع في الخلل والاضطراب، **فهاهنا ضابطان لا بد من مراعاتهما، هما:**

أولاً: الإذن الشرعي بمعنى أن تكون مأذونًا بها سواء إذن تنصيص أي جاءت منصوصـًا عليها أو بدخولها تحت قاعدة عامة كالمباح.

ثانياً: المصلحة العامة والخاصة ويشمل ذلك مناسبة المقام، واختيار الوسيلة ورجحان المصلحة على المفسدة.

الخلاصة: أن الوسائل والأساليب الدعوية ليست توقيفية بالكلية، ولا اجتهادية على الإطلاق، وإنما فيها ما هو توقيفي منصوص في الكتاب والسنة، ومنها ما هو اجتهادي، ولكنه مضبوط بضوابط الشرع.

ميادين الدعوة[1]:

تعرف الميادين الدعوية بأنها: المجالات التي يتاح للداعي أن يبلغ دعوته فيها.

وينبغي على الداعية أن يوازن بين الميادين لكي لا يقع في الإفراط والتفريط، وقد جعل الله تعالى من صفات عباد الرحمن التوازن في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

(١) بعض المتخصصين في علم الدعوة يجعل ميادين الدعوة ركناً خامساً في أركان الدعوة إلى الله تعالى.

ميادين الدعوة تنقسم إلى قسمين:

١- **ميادين الدعوة المكانية**: الأماكن التي يقوم فيها الداعي إلى الله بإيصال الدعوة للمدعو بأساليب ووسائل مخصوصة، وميادين الدعوة المكانية كثيرة منها: (المسجد، محيط الأسرة من زوجة وأولاد وأقارب وأرحام، المؤسسات الدعوية).

٢- **ميادين الدعوة الزمانية**: الأزمنة التي يتاح فيها للداعي نشر دعوته فيها، وميادين الدعوة الزمانية كثيرة منها: (يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم الجمعة، والعيدين، وأوقات الصلوات الخمس المفروضة، وشهر رمضان، ومواسم العمرة والحج، ومواسم الإجازة الصيفية).

التصنيف في علم الدعوة [١]

لم يكن في صدر الإسلام كتبًا ومؤلفات مصنفة على حسب أنواع العلوم وعلى حسب كل فنٍ في بابه، وسار على ذلك علماء الإسلام وأئمتُهم يتناقلون العلم مشافهة كابرًا عن كابر حتى زمن محمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة (١٢٤هـ) وكان معاصرًا للخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز، ويعتبر-الزهري- هو أول من بدأ بالتأليف وبجمع السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، غير أن هذا الجمع لم يكن مبوبًا على أبواب العلم، ثم بعد ذلك شاع التدوين بين العلماء، وممن عُرف عنه الجمع والتدوين كابن جريج، وابن إسحاق، والربيع، ومالك، والشافعي، وحماد، والثوري، وأحمد، وغيرهم، ثم أُلفت المسانيد والصحاح والسنن كالبخاري ومسلم والسنن الأربع وغيرها كثير، وكان كلام العلماء فيما يتعلق بعلم الدعوة منثورًا في كتبهم ومؤلفاتهم منذ بدء انتشار التأليف والتصنيف في العالم الإسلامي، وكان مدرجًا في مصنفاتهم ككتب الرقائق، وكتب الإيمان، وكتب العلم، وغيرها من كتب أهل العلم ثم جاء بعد ذلك زمن التخصصات العلمية في زمننا الحاضر، فأُلفت مؤلفات ومصنفات خاصة بالدعوة باعتباره فنٌ مستقلٌ يُوَضَّحُ فيه أصول الدعوة وأركانها ومواضيعها ومجالاتها إلى غير ذلك مما يحتاجه هذا العلم كتخصص فريد بعينه ورسمه. [٢]

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١/ ٨/ ١٤٣٨هـ.

(٢) تقرير الباحث يوسف الدخيل صاحب كتاب: «مراقي الوصول إلى فقه الدعوة وهدايتها من ستة الأصول».

ومما ينبغي التنبيه إليه أن علمَ الدعوةِ علمٌ أصيل، بأصالة الكتاب والسنة، فالقرآنُ الكريم دعوة، والسنة النبوية دعوة، وعملُ الصحابة ومن تبعهم واقتفى أثرهم دعوة، لكن المقصودَ هنا اعتبارُ علمِ الدعوةِ كمصطلحٍ علمي بهذا الاصطلاح هو حديث النشأة.(١)

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من التصنيف في علم الدعوة، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مفهوم التصنيف:

تعريف التصنيف في اللغة: هو تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنّف الشيء: ميّز بعضه من بعض، وتصنيف الشيء: جعْلُهُ أصنافًا، والصنف: الصفة.(٢)

تعريف التصنيف في الاصطلاح: تقسيم الأشياء والمعاني، وترتيبها في نظام خاص، وعلى أساس معين، بحيث تبدو صلة بعضها بعض.(٣)

التصنيف في علم الدعوة:

يقصد به جمع العلوم وتمييزها، وفق مبادئ وأسس تُراعي فيها الموضوعات، والمناهج، والغايات، وما يتطلبه هذا الجمع والتمييز.

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبوالفتح البيانوني، ص٤.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤/ ٧٦.

(٣) انظر: ترتيب العلوم، أبو بكر المرعشي، ص٩.

ويمكن إجمال المراحل التي مرَّ بها التصنيف في علم الدعوة عند العلماء بمراحلٍ ثلاث كالتالي:

١- **مرحلة بداية التصنيف** عمومًا من زمن الإمام الزهري ومن بعده، فعلم الدعوة كان في مصنفاتهم ضمنًا ولم يُفرد بكتاب معين لا باسمٍ ولا رسمٍ.

٢- **مرحلة إفراد مصنفات في علم الدعوة** ككتاب الترغيب والترهيب للمنذري، وكتاب الزهد للإمام أحمد، إلا أن هذه المرحلة لا تُعرف بهذا المصطلح كمصطلح علم الدعوة، ولا تُعرف بهذا كفنٍ مستقل.

٣- **المرحلة المتأخرة في عصرنا الحاضر**، مرحلة التخصصات العلمية بعدما اتُخذ هذا العلم علمًا مستقلًا بذاته، فأُفردت له في هذه المرحلة مصنفات خاصة بهذا المصطلح مصطلح علم الدعوة، ككتاب الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها لأحمد علوش، وكتاب وسائل الدعوة لعبدالرحيم المغذوي، وكتاب أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم لحمود الرحيلي، وغيرها كثير. [١]

مناهج التصنيف:

تعرّف المناهج الدعوية بأنها النظم والخطط الدعوية، والأساليب الدعوية هي كيفيات وطرق تطبيق تلك المناهج والنظم والخطط الدعوية[٢].

وأشار غير واحد من علماء المنهج إلى أن عدد المناهج لا يكاد ينحصر، فليس هناك منهجاً علمياً واحداً للبحث، بل هي عدة مناهج، ولكن غايتها

---

(١) تقرير الباحث يوسف الدخيل صاحب كتاب: «مراقي الوصول إلى فقه الدعوة وهدايتها من ستة الأصول».

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص١٩.

واحدة؛ وهي الوصول إلى الحق. ومع اختلاف العلوم تختلف المناهج، ومن أبرز تلك المناهج ما يلي:

١- **المنهج الوصفي**: هو أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد ومن خلال فترة أو فترات زمنية معلومة وذلك من أجل الحصول على نتائج عملية تم تفسيرها بطرقة موضوعية وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة.

٢- **المنهج المسحي**: هو منهج بحثي يهدف إلى مسح الظاهرة (موضوع الدراسة)؛ لتحديدها، والوقوف على واقعها بصورة موضوعية، ثم تمكن الباحث من استنتاج علمي لأسبابها، والمقارنة فيما بينها، وقد تتجاوز ذلك للتقييم تبعاً لما تخلص له من نتائج.

٣- **المنهج الاستقرائي**: هو منهج ينتقل فيه الباحث من الجزء إلى الكل، أو من الخاص إلى العام، حيث يبدأ الباحث بالتعرف على الجزئيات ثم يقوم بتعميم النتائج على الكل[1].

مناهج العلماء في التصنيف في علم الدعوة وتطبيقاتهم:

اختلفت مناهج العلماء في التصنيف في علم الدعوة بناء على اعتبارات مختلفة منها:

١- **باعتبار الموضوع**: فأُلفت مصنفات بحسب المواضيع، كأركان الدعوة وأصولها وأساليبها، مثل كتاب الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها لأحمد

(١) تقرير الباحث يوسف الدخيل صاحب كتاب: (مراقي الوصول إلى فقه الدعوة وهداياتها من ستة الأصول).

علوش، وكتاب وسائل الدعوة لعبدالرحيم المغذوي، وغيرها مما عُني باعتبار موضوع التأليف.

٢- **باعتبار المدعو**: أُلفت مصنفات بحسب حال المدعو كدعوة المسلمين، وكدعوة غير المسلمين، وتحت كل حال منهما مصنفات وتقسيمات، كما في دعوة المسلمين دعوة أهل المعاصي والبدع أُلفت فيها مصنفات، وفي دعوة غير المسلمين أُلفت فيها مصنفات كدعوة أهل الكتاب، وكدعوة المشركين الأصليين، وهكذا مما عُني باعتبار المدعو.

٣- **باعتبار الميادين والمجالات الدعوية**: فأُلفت مصنفات في هذه الأبواب ككتاب الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة لعبدالرحمن الخليفي باعتبار السجن ميدان من ميادين الدعوة، وكتاب الدعوة إلى الله في جزيرة العرب بين الوحي والفكر لسعد الحصين، وهكذا مما عُني باعتبار الميادين والمجالات الدعوية.

٤- **باعتبار منهج المصنِّف نفسه في التصنيف**: كالمنهج التأصيلي مثلًا، فيعتمد المصنِّف تأصيلًا معينًا لعلم من علوم الدعوة، ككتاب نصوص الدعوة في القرآن الكريم دراسة تأصيلية لحمد العمار، أو يعتمد المصنِّف على المنهج التاريخي لعرض تاريخ الدعوة مثل كتاب تاريخ الدعوة لجمعة خولي، وهكذا مما عُني باعتبار منهج المصنِّف نفسه.

٥- **باعتبار السبب والقصد**: أي السبب والقصد الذي دعا المؤلف للتصنيف، مثل كتاب الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية لمحمد الشثري، وكتاب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي،

وكتاب مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام لعبداللطيف آل الشيخ.[١]

أنواع التصنيف في علم الدعوة:

ويمكن القول بأن التصنيف في علم الدعوة يتنوع بحسب متعلقاته وروافده وبيان ذلك فيما يلي:

١- **القرآن الكريم**: كتاب الدعوة الأول ولا غنى عن كتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة كتفسير ابن جرير الطبري وابن كثير ومختصراتهما والرسائل التي عنيت بتفسير آيات الدعوة وجمعها وعرض تفسيرها بصورة موضوعية.

٢- **السنة المطهرة**: المصدر الثاني في التشريع والشارح لكتاب الله تعالى، وما حوت من أبواب منثورة الزهد والرقائق، ويلحق بهذا كتب الشروح كفتح الباري لابن حجر وشرح مسلم للنووي وشروح كتب السنة الأخرى وشروح الأحاديث المتعلقة بموضوعات الدعوة والأبواب المتعلقة بالرقائق ونحوها.

٣- **السيرة النبوية والتاريخ والتراجم**: التطبيق العملي والممارسة الفعلية لهذا العلم المبارك فهي خلاصة منهاج النبي ﷺ في الدعوة والإصلاح كسيرة ابن هشام وتاريخ البداية والنهاية لابن كثير وسير أعلام النبلاء للذهبي وصفة الصفوة لابن الجوزي ونحو ذلك.

٤- **العقيدة الصحيحة**: مثل كتاب الإيمان لابن أبي شيبة، وشرح أصول اعتقاد

---

(١) تقرير الباحث يوسف الدخيل صاحب كتاب: «مراقي الوصول إلى فقه الدعوة وهدايتها من ستة الأصول».

أهل السنة للألكائي، ولا غنى عن كتب المتون وشروحها كشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ومعارج القبول للحافظ الحكمي.

٥- **أصول الفقه**: مثل كتاب البرهان للجويني عند الشافعية، والفصول في الأصول للرازي عند الحنفية، وقسم الأصول من كتاب الموافقات للشاطبي عند المالكية، والعدة لأبي يعلى عند الحنابلة.

٦- **الفقه**: مثل قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام عند الشافعية، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم عند الحنفية، والذخيرة للقرافي عند المالكية، والمغني لابن قدامة عند الحنابلة.(١)

مصنفات في علم الدعوة ومناهجها:

كما هو معلوم ومستقر لدى المهتمين بعلم الدعوة، فإنه يعد علماً حديثاً من حيث التصنيف والتأليف، وأما التطبيق فهو من مبعث الأنبياء والرسل عليهم السلام، إلا أن هناك كتباً تناولت الدعوة كبلاغ وبيان، وأخرى تناولت الدعوة كعلم وطرائق وأسلوب؛ ومن أوائل الكتب التي صنَّفت في ذلك ما يلي:

١- **حاضر العالم الإسلامي**: للمؤلف لوثروب ستودارد، حقق الكتاب شكيب أرسلان، هذا الكتاب تعرض إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكيف انتشرت في العالم الإسلامي، كما تحدث عن الصوفية وأساليب دعوتهم.

٢- **حاضر الإسلام وقضاياه المعاصرة**: للمؤلف جميل عبد الله المصري وقد تعرض فيه لقضايا العالم الإسلامي وطرق نشر الدعوة فيه، والمعوقات

---

(١) انظر: مبادئ أصول علم الدعوة، محمد يسري، ص١٧.

التي تواجه الدعوة مقابل نشاط النصارى وغيرهم.

٣- **الإسلام الفاتح**: للمؤلف حسين يونس، تحدث فيه عن انتشار الإسلام والوسائل التي انتشر بها.

٤- **الدعوة الإسلامية في عهدها المدني منهاجها وغايتها**: للمؤلف رؤوف شلبي، تحدث فيها عن الوسائل الدعوية ومنهجها في المدنية النبوية.

٥- **المدخل إلى علم الدعوة**: للمؤلف محمد أبو الفتح البيانوني، وتحدث فيه عن تاريخ الدعوة، وأساليبها وموضوعاتها، وأحوال المدعوين، وعرج فيها على الداعي[١].

أهم مجالات تصنيف العلماء المتقدمين في علم الدعوة (القصص):

القصص في القرآن الكريم:

ورد لفظ القَصص في القرآن الكريم بالجمع ست مرات وكانت كلها بالفتح، ولعل في هذا إشارة إلى تميز طريقة القرآن وأسلوبه في عرض الأحداث والوقائع التي تضمنتها القصة.[٢]

القصص في السنة النبوية:

كان الرسول ﷺ أول من سلك نهج القرآن الكريم وترسم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في نفوس الصحابة.

---

(١) تقرير الباحث يوسف الدخيل صاحب كتاب: (مراقي الوصول إلى فقه الدعوة وهداياتها من ستة الأصول).

(٢) انظر: القصص القرآني، عبده بلبلول، ص٣٣.

نماذج من تأليف العلماء المتقدمين في القصص:

اهتم العلماء بالقصص في الدعوة فمنهم من أفردها في كتاب مستقل ومنهم من ضمنها في كتابه وبوَّب لها أبوابـًا ومن ذلك:

١- بوَّب البخاري في صحيحه (باب قصة الحبش) وقوله: «باب قصة غزوة بدر».[١]

٢- نجد عند الترمذي هذا اللفظ كثيراً -لفظ القصة- فغالبـًا ما يقول: «وفي الحديث قصة».[٢]

٣- نجده عند أبي داود وابن ماجه والنسائي في سننهم، الكتاب الثالث من حرف القاف: كتاب القصص، وذكر قصة أصحاب الغار.

ومن أبرز المصنفات في هذا الفن:

١- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية، وفيه ذكر قصص أهل الجنة.

٢- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، وقد ساق فيه عدداً من القصص النبوية في شأن الناس في حياتهم وبعد موتهم وأقسامهم.

٣- أحاديث القُصاص لشيخ الإسلام ابن تيمية، حيث أجاب عن أحاديث وردته بإجابات شافية واضحة وهذه الأحاديث يرويها القصاص فبين درجة كل واحد منها.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، ٥/ ٧٢.

(٢) رواه الترمذي، رقم الحديث: ١٧١٤.

حال السلف مع القصص ومقولاتهم عنها:

١- قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «ما أحوج الناس إلى قاص صدوق».

٢- كان لعبيد بن عمير مجلساً يذكر فيه قصصاً متنوعةً ومواعظ بليغة وكان يحضره ابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.[١]

أهم مجالات تصنيف العلماء المتقدمين في علم الدعوة (الخطابة):

تعريف الخطابة:

عُرِّفت بتعريفات كثيرة، من أهمها: «الإقناعَ الممكنَ في كل واحد من الأمور المفرَدة».[٢]

نشأة فن الخطابة:

الخَطابة كفنٍّ يمارَس، وأسلوبٍ يطبَّق؛ فشيء قديم لم تَخْلُ منه أمة من الأمم وإن الاستعداد لها مخلوق مع الإنسان الذي لا غنى له عن الإبانة، لغيره عما في ضميره، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه.[٣]

وعلم الخَطابة المشتملُ على قواعدها، فقد أتى متأخرًا عن نشأتها، وأول من دون قواعدها ثلاثة من فلاسفة اليونان في أوائل القرن الخامس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد: هم: (بروديكوس، وبرتا غوراس معاصره، ثم غورجياس سنة ٣٨٠ ق.م)، وفي أواخر القرن الرابع سنة (٣٢٢ ق.م) ظهر أرسطو زعيم فلاسفة اليونان فلم يترك شيئًا من أصول هذا الفن إلا ودَوّنه، ونشره في كتابه

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ٤/ ١٥٧.

(٢) انظر: الخَطابة، أرسطو طاليس، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، ص ٩.

(٣) انظر: فن الخَطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، ص ٢٠.

(الخَطابة)، ومن هذا الحين صارت الخَطابة فنـًا مدونـًا.[١]

وهكذا نرى أن اليونانيين هم أول من كتب في علم الخَطابة، واستنبطوا قواعدها، وجدير بالذكر أنهم كانوا يَعُدّون علم الخَطابة ضمن مباحث ومسائل علم المنطق، وقد ذكر ابن خلدون أن أرسطو صنَّف كتابه في المنطق وجعله مشتملاً على ثمانية كتب، وعدَّ منها كتاب الخَطابة، ثم ذكر أنها تُرجِمت كلها في الملة الإسلامية، وكَتبها وتداولها فلاسفة الإسلام بالشرح، كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الأندلس.[٢]

الغاية من دراسة الخطابة:

الوصول إلى التأثير في المخاطبين، وإقناعِهم بما يُطرح عليهم من أفكار وموضوعات، واستمالةِ قلوبهم نحو رأي معين، لحملهم على فعل شيء أو تركه، أو اعتقاد أمر أو عكسه.

والخَطابة في مجال الدعوة الإسلامية لها غاية شريفة، وأهداف سامية راقية، فالغاية منها إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإرشاد الخلق إلى طريق الحق، وذلك بدعوة الناس إلى الإسلام اعتقاداً ومنهجـًا وتحذيرهم مما سواه.

عناية الإسلام بالخطابة:

جاء الإسلام فكانت عنايته بالخطابة أشدَّ واهتمامه بها أقوى، كيف لا ورسالته كلها مبناها على وحي يوحى وقرآن يتلى وقراءته عبادة، وكانت كبرى معجزاتها هي الفصاحة والبلاغة، تحدت الفصحاء والبلغاء في صميم لغتهم وفي

---

(١) انظر: فن الخَطابة وإعداد الخطيب، ص ١٣.

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون، ٣/ ١١٣٨.

عقر ديارهم، فتراجع أمامها فرسان البلاغة، وتراجع دونها أئمَّة البيان، واستسلموا لسلطانها وسجدوا لسحر بيانها: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقد نوَّه القرآن الكريم عن مدى عظم الخطابة والبيان وصلتهما بالرسالات والدعاة في عدة مواطن؛ فعن أصل الرسالة يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]، أي: البيان الذي يصحبه الإقناع ويثمر الاستجابة كما عاب العجز عن الإبانة في مقام الخصومة وإثبات الحجة في قوله تعالى عن النساء: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾ [الزخرف: ١٨]، أي: لعجزهن عن مواجهة الخصم وإقامة الحجة.

وقد كانت خطبته في حجة الوداع خلاصةً عامةً، جامعةً شاملةً لمهام الدين، وأسسِ التعامل، منها: (أي يوم هذا؟ في أي شهر هذا؟ في أي بلد هذا)، وفي كلها يجيبون بأنها (أوقات وأماكن محرمة)، فيقول ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذه**»[1]، نرى قوة التأكيد في التحريم ثم يوصي ﷺ بالنساء خيرًا، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه من البيان والبلاغ في أعظم جمعٍ للمسلمين.

أهم مجالات تصنيف العلماء المتقدمين في علم الدعوة (الحوار):

تعريف الحوار:

مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ وإظهار حجَّةٍ، وإثبات

(١) رواه البخاري، رقم الحديث: ١٧٣٩.

حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي.[1]

تاريخ الحوار:

يعتبر الحوار قديم قدم البشرية فهو نابع من أعماق النفس البشرية، ومما ورد في القرآن الكريم الحوار الذي كان بين آدم وزوجه حواء عليهما السلام وهما في الجنة، وكذلك ما أمر الله به الملائكة من السجود لآدم عليه السلام لما خلقه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

أهداف الحوار ومقاصده:

يمكن أن نجمل أهداف الحوار في أربعة أهداف:

١- إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

٢- الدعوة إلى الحق والهداية لأن الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٣- تقريب وجهات النظر: من ثمرات الحوار تضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر.

٤- كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل، قال

(١) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، ص ٦.

تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥][1].

أهمية الحوار:

للحوار أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله تعالى، فهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة ومعلم بارز في منهجها القويم.

وللحوار دوره الكبير في تأصيل الموضوعية ورد الفكرة المغرضة كالفكرة القائلة إن الإسلام دين القهر، وإنه انتشر بالسيف كما روجه أعداء الإسلام من ضلال المستشرقين والمنصّرين.

وكيف يصح ذلك والإسلام دين الحوار وفي التنزيل الحكيم: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فلو كان صحيحاً أن الإسلام دين السيف لما كان للحوار معنى، وقد حفل القرآن الكريم بعشرات النصوص حول الحوار تأمر به وتحض عليه وتنوه بقيمته وتقدم نماذج من حوارات الأنبياء والمرسلين، وتقدم نماذج من الحوارات التي ينبغي أن يسلكها الدعاة إلى الله مع مختلف أصناف المدعوين من أهل الكتاب والمشركين والملاحدة ومنكري البعث وغيرهم[2].

أصول الحوار:

للحوار أصول لابد من مراعاتها عند ممارسة الحوار أو التعرف عليه، ومن أهم تلك الأصول مايلي:

---

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص٢٦٩-٢٩٣.

(٢) انظر: وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، عبد الرب نواب الدين، ص٢١.

١- أن يراد بالحوار وجه الله تعالى، أي إظهار الحق والوصول إليه، وهذه الرغبة يجب أن تكون موجودة عند الطرفين لا أن تكون الغاية مجرد الغلبة والظهور. والمقصود في ذلك أن يكون الحوار بريئًا من التعصب، خالصًا لطلب الحق، خاليًا من العنف والانفعال، بعيداً عما يفسد القلوب ويهيج النفوس.[١]

٢- لابد للمحاور أن يكون عالمًا بالمسألة التي يريد أن يحاور فيها، فلا يجوز للإنسان أن يدخل في الحوار قبل أن يستكمل أدواته العلمية والعقلية.[٢]

٣- أن يكون هناك تكافؤ بين المتحاورين، أي أن يكونا متقاربين من الناحية العلمية والثقافية، وفي العقل والفهم[٣].

٤- تحديد موضوع الحوار ونقطة الاختلاف، فقد يختلف المتحاوران في مسائل عديدة، وليس على مسألة واحدة، ثم يحدث الحوار في مسألة أخرى، بدون أن يتفق على المسألة الأولى، فيتشعب الحوار ويطول في أمور فرعية بعيدة عن موضوع المحاورة[٤].

آداب الحوار وتطبيقاته:

١- الإخلاص وهذه الخصلة من الأدب متمِّمة لما ذكر من أصل التجرد في طلب الحق، فعلى المُحاور أن يوطِّن نفسه، ويُروِّضها على الإخلاص لله

---

(١) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، ص ٢٠.

(٢) انظر: أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ٤٢.

(٣) انظر: الحوار في القرآن الكريم، محمد كمال الحويل، ص ٢٤.

(٤) انظر: الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان، ص ٦٤.

تعالى في كل ما يأتي وما يذر في ميدان الحوار.

٢- من أهم ما يتوجه إليه المُحاور في حواره، التزام الحُسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٣- الالتزام بوقت محدد في الكلام، ينبغي أن يستقر في ذهن المُحاور ألا يستأثر بالكلام، ويستطيل في الحديث، ويسترسل بما يخرج به عن حدود اللباقة والأدب والذوق الرفيع.

٤- حسن الاستماع وأدب الإنصات وتجنب المقاطعة، كما يطلب الالتزام بوقت محدد في الكلام، وتجنب الاطالة، فيطلب حُسن الاستماع، واللباقة في الإصغاء، وعدم قطع حديث المُحاور.

٥- ينبغي في مجلس الحوار التأكد على الاحترام المتبادل من الأطراف، وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطب بالعبارات اللائقة، والألقاب المستحقة، والأساليب المهذبة.

٦- حصر المناظرات في مكان محدود، يذكر أهل العلم أن المُحاورات والجدل ينبغي أن يكون في خلوات محدودة الحضور؛ قالوا: (وذلك أجمع للفكر والفهم، وأقرب لصفاء الذهن، وأسلم لحسن القصد، وإن في حضور الجمع الغفير ما يحرك دواعي الرياء، والحرص على الغلبة بالحق أو بالباطل).

بعض مجالات تطبيق الحوار:

١- تعلم الحوار من خلال الأسرة.

٢- تعلم الحوار من خلال المسجد.

٣- تعلم الحوار من خلال المدرسة.

٤- تعلم الحوار من خلال وسائل الإعلام.

خصائص الحوار في القرآن الكريم:

١- قوة الحوار القرآني.

٢- وضوح وبساطة الحوار القرآني.

٣- استخدام أقرب الطرق وأسهلها للإقناع.

٤- تكرار الحوارات القرآنية.

كما أن الحوار في السنة النبوية له أنواع منها، الحوار الدعوي، والحوار التعليمي، والحوار القصصي، والحوار مع المرأة، والحوار الاستشاري، وحوار الأسئلة والأجوبة، وحوار استغلال المناسبات.

أهم مجالات تصنيف العلماء المتقدمين في علم الدعوة (الجدل):

تعريف الجدل:

لغةً: شدة الخصومة، ومقابلة الحجة بالحجة.(١)

اصطلاحًا: دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه.(٢)

مشروعية الجدل:

١- القرآن الكريم: ذكر في تسع وعشرين موضعًا كُلُّها مذمومة إلا في ثلاثة مواضع.

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ص٥٧١.

(٢) انظر: التعريفات، علي الجرجاني، ص٧٨.

٢- السنة النبوية: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»، والمجادلة من المجاهدة باللسان.

آداب الجدل:

١- الإخلاص.

٢- العلم والإحاطة في المجادل فيه من جميع جوانبه.

٣- لين الكلام للخصم وعدم الغلظة.

٤- التزام الصدق.[١]

من أبرز المصنفات في هذا الفن:

١- كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم، عبدالرحمن بن نجم.

٢- الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته، يوسف عمر العساكر.

٣- أصول الجدل والمناظرة في ضوء الكتاب والسنة، حمد العثمان.

٤- كتاب الجدل على طريقة الفقهاء، علي بن عقيل الحنبلي.

٥- الكافية في الجدل، للجويني إمام الحرمين.

٦- كتاب المعونة في الجدل، أبو إسحاق الشيرازي.

٧- المنتخل في الجدل، أبو حامد الغزالي.

٨- كتاب المنهاج في ترتيب الحِجاج، أبو الوليد الباجي.

٩- تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة.

١٠- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن الميداني.

---

(١) انظر: علم الجدل، نجم الدين الطوفي، ص٤٨-٥٣.

أهم مجالات تصنيف العلماء المتقدمين في علم الدعوة (المناظرة):

مفهوم المناظرة:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية، نجد أن لفظ المناظرة مصدر على وزن مفاعلة، فعله نَاظَرَ، ووزن مفاعلة يدل على التشارك بين طرفين أو أكثر.

وأما في الاصطلاح فقد وردت (المناظرة) بعدة تعاريف كان من أشملها وأجمعها ما عرفها الشيخ عبدالرحمن حنبكة، والشيخ محمد أمين الشنقيطي والدكتور زاهر الألمعي بأنها: (المحاورة بين شخصين حول موضوعٍ معين، يقصد كل واحدٍ منهما إثبات وجهة نظره، وإبطال وجهة نظر صاحبه، مع رغبته الصادقة في ظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره).

مشروعية المناظرة:

المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن كلمة المناظرة لم ترد في القرآن الكريم، وإنما استخدم لفظ الجدال وذلك في تسعةٍ وعشرين موضعـًا، والمتتبع لمواضع هذه الكلمة في القرآن الكريم يجد أن غالبيتها جاءت في سياق عدم جدواها، فهي مذمومة -وهذا خارج معنى المناظرة- إلا في خمسة مواضع على المجادلة المحمودة فهذا هو معنى المناظرة المطلوب.

وأقل مراتب حكم المناظرة الجواز؛ إن كانت على الوجه المطلوب والمشروع، وقال بعضهم باستحبابها، وفي حين قال آخرون: (إن القدر الذي يلزم لإبطال شبهة خصوم حق فرض كفاية، وليس بعين).

نشأة علم المناظرة:

العلماء في الصدر الأول لم تكن الحاجة تعوزهم إلى هذه النُّظُم؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما منّ الله عليهم به من سلامة الفطرة، وصفاء الذهن، وكل ما يدور بينهم من الحوارات والمناظرات تجري على نسق من قواعد هذا العلم، دون تلقي مبادئها وأصولها من كتب مخصوصة مدونة من أجله، وإن كانت بعض النقاشات العلمية لم تكن تتقيّد بآداب البحث والجدل.

ولما طال بالناس الأمد، وبدأت قرائحهم تقصر؛ بسبب تشعّب العلوم، وكثرة تفريعاتها؛ دعت الحاجة إلى تمييز معالم آداب البحث والمناظرة، فكان أول من دوَّن في هذا المجال الإمام النرودي المتوفَّى عام (٤٨٢هـ)، لكنه اعتنى بالتدوين في مجال الفقه وكان في أواخر القرن الخامس الهجري.

فظهرت الحاجة إلى قواعد عامة تضبط المناظرة في كل مجال فكان أول من استجاب لهذه الحاجة وأفرد هذا الفن بالتأليف، وصنّفه على الشكل الذي نتناقله اليوم، ركن الدين أبو حامد محمد العميدي الفقيه الحنفي، المتوفّى ببخاري سنة (٦١٥هـ)، وسمّى الكتاب الذي ألفه (الإرشاد).

ثم تتالت المؤلفات بعد ذلك، فألف شمس الدين محمد بن أشرف الحسيني الحكيم السمرقندي المتوفَّى سنة (٦٠٦هـ) كتابًا في المناظرة، وللعلماء تعليقات كثيرة على هذا الكتاب.

من أبرز المصنفات في هذا الفن:

١- آداب البحث العضدية، عضد الإيجي.

٢- حسن المحاضرة في آداب البحث والمناظرة، مرتضى الزبيدي.

٣- رسالة في آداب البحث، سنان الدين يوسف المعروف بعجم سنان.
٤- المآب في شرح الآداب، السمرقندي.
٥- علم آدب البحث والمناظرة، مصطفى أفندي.
٦- شرح منظومة آداب البحث، فصيح الحيدري الشافعي
٧- آداب البحث، مسعود الشيرواني وعليها حاشية لأحمد الرومي.
٨- شرح آداب البحث، الدردير المالكي.
٩- المخاصرة في آداب البحث والمناظرة، عبد الملك بن عبد الوهاب الفتني.
١٠- رسالة آداب البحث، عثمان بن حسين بن عمر الرومي الحنفي.

نلحظ أن المتقدمين في التأليف في هذا الباب يذكرون ثلاثة ألفاظ هي الأشهر وهي المتداولة وهي: «المناظرة والجدل والبحث» وعليه جرى التأليف.

أهم مجالات تصنيف العلماء المتقدمين في علم الدعوة (تاريخ الدعوة وانتشارها):

حينما نتحدث عن تاريخ الدعوة نجد أن هناك أوجه شبه وترابط في الحركة الدعوية وملامحها ونتائجها على مدى العصور والأزمان، ومن هنا قسَّم العلماء تاريخ الدعوة إلى أربعة عهود:

١- الدعوة قبل الإسلام.
٢- الدعوة في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين.
٣- الدعوة في زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين.
٤- الدعوة في العصر الحديث.

ولقد أرسل الله تعالى النبي محمد ﷺ إلى قومه داعيًا إلى الإسلام ببطن

مكة من الجزيرة العربية، وكانت على الوثنية التي تعبد الأصنام والأحجار والأشجار فأسر بالدعوة حتى أذن الله عز وجل له أن يجهر بها، فدعا عشيرته الأقربين، ثم أذاع الدعوة في الناس جميعاً.(١)

وكانت المهمات التي جاء من أجلها عديدة ويمكن حصرها في النقاط التالية:

١- اصلاح الأوضاع الفاسدة التي كانت قبل مبعثه.

٢- جمع رسالات السماء في دائرة واحدة متماسكة.

٣- دعوة أهل الكتاب من الضلال إلى الإيمان.

٤- تتميم مكارم الأخلاق.

واستمرت المهمة الدعوية في زمن الخلاف الراشدين والخلافات الإسلامية على ما يتاح لها من الوسائل والأساليب الدعوية لإيصال الموضوعات الدعوية للناس.

ولم تتوقف حركة الدعوة الإسلامية سواء على نطاق التبليغ والنشر أو على نطاق تعليمه وتبيينه للناس، أو على نطاق تطبيقه في الحياة الشخصية والحياة العامة وذلك على الرغم من الصدمة الكبرى التي أصيبت بها الدعوة الإسلامية بسقوط الخلافة الإسلامية على أيدي أعداء المسلمين.

وتنوعت أشكال الحركة الدعوية، فكان منها الحركات الفردية، كما كان منها الحركات الجماعية التي اتخذت شكل المنظمات والجماعات التنظيمية في العصر الحديث، فقد ساهمت هذه الحركات جميعها في تيسير موكب الدعوة

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية تاريخها ومنهجها، أنور الجندي، ص ٢.

هنا وهناك، حتى لا يكاد يخلو قطر من أقطار المسلمين من مثل هذه الحركات، وتنوعت مناهج وأساليب هذه الحركات الدعوية، فكان منها دعوات شاملة وأخرى جزئية تقترب وتبتعد عن المنهج النبوي بحسب الزمان والمكان والعاملين فيها.

من التطبيقات المنهجية على الكتب المصنفة في علم الدعوة:

أولى العلماء قديمًا التصنيف والتأليف الاهتمام البالغ خاصة في جوانب الدعوة فهذا ابن القيم رحمه الله تعالى يقول: (ثم أقسم سبحانه بـ ﴿ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١] فأقسم بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو إحدى آياته وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيَّد به الدين وأثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد فوطدت به الممالك وأمنت به السبل والمسالك وأقام في الناس أبلغ خطيب وأفصحه وأنفعه لهم وأنصحه وواعظًا تشفى مواعظه القلوب من السقم وطبيبًا يبرئ بإذنه من أنواع الألم يكسر العساكر العظيمة على أنه الضعيف الوحيد ويخاف سطوته وبأسه ذو البأس الشديد بالأقلام تدبر الأقاليم وتساس الممالك والعلم لسان الضمير يناجيه بما استتر عن الأسماع فينسج حلل المعاني في الطرفين فتعود أحسن من الوشي المرقوم ويودعها حكمه فتصير بوادر الفهوم والأقلام نظام الأفهام وكما أن اللسان يريد القلب فالقلم يريد اللسان ويولد الحروف المسموعة عن اللسان كتولد الحروف المكتوبة عن القلم والقلم يريد القلب ورسوله وترجمانه ولسانه الصامت)[1].

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، ص٢٠٦-٢٠٧.

والإمام ابن الجوزي له كلامًا قريبًا من ذلك فيقول: (رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأني أشافه في عمري عددًا من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقًا لايحصون ما خلقوا بعد، ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم؛ فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد)[1].

منهج السلف في الكتب المصنفة في علم الدعوة:

منهج السلف في الكتب المصنفة يقوم على أربعة محاور، هي:

١- **مُصنفو كتب الدعوة من السلف**: كان عامة السلف متصفين بالزهد والورع على الوجه المشروع، ولذلك أتت مصنفاتهم ترجمانًا لأحوالهم وصفاتهم، فكثر بذلك النفع بهم وبكتبهم رحمة الله عليهم، وكان السلف يصنِّفون في الزهد والرقائق كُتبًا عظة لأنفسهم أولاً، كما صرح غير واحد منهم عن هذا المقصد في مقدمة كتابه.

٢- **مواضيع كتب الدعوة عند السلف**: تمتاز مواضيع كتب السلف بميزة قلَّ أن تجدها في كتب المتأخرين ممن ألف في باب الوعظ والرقائق، وهذه الميزة هي الشمولية؛ فهي شاملة لكافة مناحي الزهد والرقائق والآداب، وهذه الشمولية تبرز في نوعين من مؤلفات الوعظ عندهم:

أ – كتب الوعظ العامة التي جمعت كل ما من شأنه أن يرقق القلوب ويهذب النفوس.

---

(١) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص٢٤٤.

ب- ما أفرد من أبواب الوعظ الخاصة، فإنك لا تكاد تجد باباً من أبواب الرقائق والوعظ، إلا وأفرد بمؤلَّف مستقل، وخير شاهد على ذلك كتب ابن أبي الدنيا، فإنه لم يترك باباً من أبواب الوعظ والزهد والرقائق والفضائل إلا وأفرده بمؤلَّف مستقل.

٣- **مادة كتب الدعوة عند السلف**: إنَّ السلف هم أهل الأثر، وهذه الميزة استصحبها السلف في مصنفاتهم الكثيرة، والمتعلقة بالعقائد والأحكام والزهد والرقائق وغيرها. وكان عادة السلف المتقدمين -من أهل القرون الثلاثة الأولى- أنهم يذكرون في كتب الرقاق والمواعظ: القرآن الكريم وأقوال المفسرين، والأحاديث، وآثار الصحابة والتابعين.

٤- **منهج السلف في كتب الدعوة**: من السلف من صنَّف كتبه على طريقة المسانيد، ومنهم من رتَّب مواضيع كتابه على الأبواب والفصول، وكان المتقدمون من سلفنا يجمعون الأحاديث والآثار بأسانيدها في أبوابها، وكان الإسناد إذ ذاك شرطاً في تصنيف كتب الزهد وغيرها، خلافاً لما درج عليه المتأخرون[1].

(١) تقرير الباحث يوسف الدخيل صاحب كتاب: (مراقي الوصول إلى فقه الدعوة وهداياتها من ستة الأصول).

مناهج التصنيف في علم الدعوة المعاصرة واتجاهاتها:

لا يصح أن تؤدي الكتابة في علم الدعوة والتصنيف فيه إلى جعل الدعوة علمًا نظريًا بعيداً عن العمل والتطبيق، تُعرَضُ فيه الدعوة عرضًا مجرداً، يُتحدَّثُ فيه عما كانت عليه، أو كيف يجب أن تكون فحسب – كما هو واقع عدد من العلوم الإسلامية الأخرى-بل يجب أن يربط هذا العلم بواقع الدعوة وممارستها العملية، فتجري تطبيقاته في واقع العمل الدعوي الفردي والجماعي، فتربّى عليه الأفراد، ويمارسه الدعاة في حياتهم اليومية.

أبرز مناهج التصنيف في علم الدعوة المعاصرة واتجاهاتها:

١ – استخلاص القواعد الدعوية من الكتب الدعوية.

٢ – استخلاص القواعد الدعوية من خلال أحد العلوم.

٣– منهج بحث القواعد الدعوية ضمن موضوع محدد.

٤ – منهج تخصيص قواعد معينة بالبحث والدراسة.

٥ – منهج الدراسة النظرية لعلم القواعد الدعوية.

٦ – المنهج الموسوعي في حصر القواعد الدعوية.

واهتم الباحثون في هذا العصر بتحقيق الكتب الدعوية القديمة، ومن جملتها كتب الدعوة التي كان لهم جزء من هذا الاهتمام، ومما ساعد على هذا الأمر قبول التحقيق في الجامعات كرسائل لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه.

أنواع التصنيف في علم الدعوة في العصر الحديث:

تتعدد أنواع التصنيف في علم الدعوة في العصر الحاضر والتي يمكن نذكر منها ما يلي:

١- مصنفات تتعلق بأساليب الدعوة.

٢- مصنفات تتعلق بوسائل الدعوة.

٣- مصنفات تتعلق بمضامين الدعوة.

٤- مصنفات تتعلق بالداعية.

٥- مصنفات تتعلق بالمدعو.

٦- مصنفات تتعلق بمعوقات الدعوة ومشكلاتها.

٧- مصنفات تتعلق بمنهج الدعوة.

٨- مصنفات تتعلق بتاريخ الدعوة.

٩- مصنفات تتعلق بمصادر الدعوة.

١٠- مصنفات تتعلق بمقاصد الدعوة وأهدافها.

من التطبيقات المنهجية على المصنفات في الأساليب الدعوية:

١- إذا كانت العبادة في الإسلام منهجاً ونظاماً، فإن من تطبيقاته: «الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج»، وما إلى ذلك من أشكال تطبيق العبادات.

٢- منهج الاقتصاد الإسلامي ومن أساليبه: «جميع أشكال التعامل المالي في الإسلام من: البيع، والشراء، والصرف، والإجارة، والرهن، والشركة»، وما إلى ذلك من أشكال تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

٣- منهج الشورى ومن تطبيقاته: «الاستشارات الفردية والجماعية، والشورى الملزمة، والشورى المعلمة»، وما إلى ذلك من أشكال تطبيق الشورى.

من التطبيقات المنهجية على المصنفات في الوسائل الدعوية:

لا بد للمرء في سبيل تحقيق أهدافه، والوصول إلى غايته من استخدام

الوسيلة التي تعينه على ذلك، فإن الله -عز وجل- قد ربط الأسباب بالمسببات، وأمر بالأخذ بالوسائل المؤدية إلى الغايات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥] والدعاة إلى الله تعالى أولى الناس بابتغاء الوسائل التي تقربهم إلى الله، وتصل بدعوتهم إلى الناس، تمشيًا مع سنن الله في الأرض، ووسائل الدعوة: (ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية) [1].

من التطبيقات المنهجية على الرسائل الجامعية في علم الدعوة:

التطبيقات المنهجية في الرسائل الجامعية متنوعة لوجود التنوع أصلاً في الأساليب والوسائل الدعوية في الكتاب والسنة وبشكل يمثل زاداً خصبـًا ورافداً مهمـًا للعاملين في مجال الدعوة إلى الله تعالى، خاصة وأن ما تميز به هذا المنهج من خصائص ميزته عما سواه من المناهج الأخرى، كسرعة تأثيره، واتساع دائرته وتنوعت أساليبها ووسائلها بحيث يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به، والمدعو إليه، كما فعل النبي ﷺ في دعوته لتعلم الوضوء والصلاة، والحج، وغيرها.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبدالرحيم المغذوي، ص٦٧٧-٦٩٩.

إقامة الحجة وإبراء الذمة في الدعوة إلى الله تعالى [١]

من نعم الله تعالى على عباده أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم لإقامة الحجة عليهم وإبراء الذمة من العهد والأمانة الملقاة على عاتقه عليه الصلاة والسلام من ربه جلّ وعلا، كما قال سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥] وذلك بدعوة قومه إلى الحق بإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن هنا يتضح لنا أن من أسس المنهج الصحيح هو إقامة الحجة وإبراء الذمة ببيان النبي ﷺ رسالته لأمته وإبراء ذمته بدعوتهم إلى الحق[٢].

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من إقامة الحجة وإبراء الذمة في الدعوة إلى الله تعالى، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مفهوم إقامة الحجة وإبراء الذمة:

تعريف الحجة لغةً: الدليل والبرهان[٣].

تعريف الحجة اصطلاحًا: ما دُلّ بها على صحة الدعوة في إقامة الأدلة والبراهين

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٧/ ٦ / ١٤٣٨هـ.

(٢) تقرير الباحث بدر بن حمدان الحوشان.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون ، ص١٥٧.

القطعية بالضوابط الشرعية على المكلف[١].

تعريف الذمة لغةً: العهد والأمان والكفالة[٢].

تعريف الذمة اصطلاحًا: الوصف الذي يجعل المكلف به أهلاً للقيام بواجباته وأداء ما عليه من حقوق[٣].

مشروعية إقامة الحجة وإبراء الذمة:

١- **القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، أي أن من كمال عدل الله تعالى ورحمته على العبد أنه لا يعذبه حتى تصله الرسالة التي يقدرها الله عز وجل لهدايته بشتى الوسائل والأساليب الدعوية لتقوم عليه الحجة ثم يعاند ويكابر، وأما من إنقاد للحجة أو لم تبلغه فإن الله تعالى لا يعذبه. [٤]

٢- **السنة النبوية**: عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ**»[٥]، أي أن الله تعالى يحب الإعذار ولا يؤاخذ العبد إلى بعد إقامة الحجة عليه ثم يعاند.[٦]

٣- من أهداف منهج الدعوة الذي سار عليه الأنبياء والرسل في دعوتهم كما في

---

(١) انظر: التعريفات، علي الجرجاني، ص٨٦.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، ص٣١٥.

(٣) انظر: التعريفات ، علي الجرجاني، ص١١٢.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص٤٥٥.

(٥) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول النبي ﷺ لا شخص أغير من الله، رقم الحديث: ٧٤١٦.

(٦) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٣/ ٣٣٨.

القرآن الكريم والسنة النبوية هو إقامة الحجة على الناس وذلك بإيصال الداعية عقيدة الإسلام وبتعريفها للمدعوين، فإن الحجة تقوم عليهم بذلك وهذا واجب الدعاة وبها يعذرون(١).

وينبغي على الداعية عند قيامه بالدعوة إلى الله تعالى أن يراعي الأمور التالية:

١- الإخلاص في إقامة الحجة لقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، بمعنى ألا يكون همه في الدعوة الرياء والسمعة لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: **الرِّيَاءُ**».(٢)

٢- أن يستخدم الوسائل والأساليب المشروعة لإقامة الحجة لقول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٣- أن الداعية مهمته البلاغ والتذكير، وليس عليه الصيطرة على الخلق، لقول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

٤- أن يكون بصيراً فيما يدعو وبصيراً بكيفية الدعوة وبصيراً بحال المدعو، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

٥- مراعات الأولويات، أي بالبدء بالأهم فالمهم في إقامة الحجة، لقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما بعثه إلى اليمن قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ**

---

(١) تقرير الباحث بدر بن إبراهيم الحوشان.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، رقم الحديث: ٢٣٦٣٠، وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة.

أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ».[1]

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، رقم الحديث٤٣٤٧.

الدعوة إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح [١]

ما يصيب الأمة الإسلامية اليوم من تحزب واختلاف، فأضحت الأمة شيعًا وأحزابًا، يُخَطِّئ بعضُها بعضًا؛ إلا بسبب بعدهم عن المنهج الصحيح، وهو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والاعتصام بهما، والعمل بهما، ورد التنازع إليهما، فإنَّ السبيل الوحيد لجمع الشمل، وتوحيد الكلمة، هو الرجوع التام للمنهج الصحيح بالاعتماد على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، على فهم السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-، ففيه العصمة من التفرق والاختلاف، وفيه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة [٢].

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من الدعوة إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٦/ ٧/ ١٤٣٨هـ.

(٢) انظر: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، حمود الرحيلي، ص١٨٤.

مفهوم الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ:

لا شك أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو أساس وأصل النجاة في الدنيا والآخرة.

والاعتصام: هو الاستمساك [١]. قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام بحبل الله، قيل: الاعتصام بعهد الله، وقيل: الجماعة، وقيل: القرآن، وقيل: عدم الفرقة[٢].

والمراد معنى القرآن؛ وذلك كون جميع المعاني الأخرى داخلة فيه؛ ويؤكد ذلك حديث أبو شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أبشروا، أبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟**» قالوا: بلى، قال: «**إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً**»[٣]

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – مبيناً معنى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ: «وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم، وكشوفاتهم، ومواجيدهم، فمن لم يكن كذلك فهو مُنسَّلٌ من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله، علماً وعملاً، وإخلاصاً، واستعانة، ومتابعة، واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة»[٤].

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٦٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٧٤٣.

(٣) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث (١٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٢٣.

مفهوم السلف الصالح:

إن العامل الزمني المتمثِّل في السبق والتقدّم هو الذي يحدد مدلول كلمة (السلف) في اللغة، ولكنها في اصطلاح العلماء تحمل مدلولاً آخر مضافاً إلى المدلول الزمني، وهو على قسمين، هما:

١- المفهوم الاصطلاحي العام لكلمة (سلف):

جاء في كشاف اصطلاحات الفنون أن (السلف في الشرع اسم لكل من يُقلد مذهبه الصحيح في الدين ويُتّبع أثره) [١].

فالمفهوم العام الاصطلاحي لكلمة (سلف) ذكرت حقيقة السلف، وهم المتبعون المقتدى بهم في أمور الدين، الذين هم على المنهج السوي.

٢- المفهوم الاصطلاحي الخاص لكلمة (سلف):

يتجاذب مفهوم السلف اصطلاحاً وصفان، الوصف الزمني والوصف المنهجي، فالمعنى الخاص الدقيق للفظ (السلف) اصطلاحاً يدور حول هذين المفهومين.

أ- السلفية الزمنية:

تطلق على المجموعة المتقدمة من الأمة الإسلامية التي عاشت في فترة تاريخية معينة، وقد حصل خلاف في تحديد هذه الفترة على أقوال منها:

١- قيل: إن المراد بالسلف هم الصحابة فقط، فهو وصف لازم لهم ويختص بهم عن الإطلاق ولا يشاركهم فيه غيرهم. [٢]

---

(١) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، النهانوي، ١/ ٧٤٨.

(٢) انظر: مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص٣-٥.

٢- وقيل: إن المراد بالسلف عند الإطلاق هم الصحابة والتابعون. (١)

٣- وقيل: إن المراد بالسلف هم الصحابة والتابعون، وتابعو التابعين، وهو قول الجمهور. (٢)

والراجح هو قول الجمهور، لأن النصوص تؤيده، فقد مدح النبي ﷺ القرون التي عاش فيها الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وشهد لهم بالخيرية، كما ورد في حديث عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**». (٣)

ب- السلفية المنهجية:

لا شك أنه قد عاش في القرون الثلاثة المفضلة طوائف خرجت عن منهج السلف كالخوارج والشيعة، فكان لزاماً أن يضاف إلى السبق الزمني: موافقة الكتاب والسنة نصاً وروحاً، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس من السلف، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين. (٤)

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في تحديد معنى (السلف): «فإنك كنت تسألني عن الإيمان واختلاف الأمة في استكماله وزيادته ونقصه، وتذكر أنك أحببت معرفة ما عليه أهل السنة من ذلك، وما الحجة على من فارقهم فيه، فإن هذا رحمك الله خطب تكلم فيه السلف في صدر هذه الأمة وتابعيها ومن بعهدهم

---

(١) انظر: إلجام العوام عن علم الكلام، الغزالي، ص٣.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٧/ ١٣٤.

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر: منهج السلف في الوعظ، سليمان العربي بن صفية، ص٤٥.

إلى يومنا هذا»[١]. وبوصفهم بقوله: «فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهاج السلف بعد الذين هم موضع القدوة والإمامة»[٢].

فلفظ السلفية، أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على الرعيل الأول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة منهجهم وطبيعة الدعوة إليه، فلم يعد محصوراً في دور تاريخي معين، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة[٣].

من التطبيقات الدعوية في الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح:[٤]

١- ما حصل للصحابة مع رسول الله ﷺ في صلح الحديبية وخلاصة ذلك أن سُهَيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للنبي ﷺ حينما كتب: بسم الله الرحمن الرحيم: اكتب باسمك اللهم، فوافق معه النبي ﷺ على ذلك، ولم يوافق سهيل على كَتْبِ محمد رسول الله، فتنازل النبي ﷺ وأمر أن يكتب محمد بن عبد الله، ومنع سهيل في الصلح أن تكون العمرة في هذا العام، وإنما في العام المقبل، وفي الصلح أن من أسلم من المشركين يردّه المسلمون، ومن جاء من المسلمين إلى المشركين لا يُردُّ، وأوّل من نُفّذ عليه الشرط أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فردّه النبي ﷺ بعد محاورة عظيمة، وحينئذٍ غضب الصحابة لذلك حتى قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: ألستَ نبيَّ الله حقّاً؟ قال:

---

(١) انظر: الإيمان، القاسم بن سلام، ص٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٩.

(٣) انظر: منهج السلف في الوعظ، سليمان العربي بن صفية، ص٤٦.

(٤) تقرير الباحث فيصل بن ظافر القحطاني.

«**بلى**»، قال: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: «**بلى**»، قال: فلمَ نُعطي الدنِيَّةَ في ديننا إذاً؟ قال: «**إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري**»، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، فلما فرغ الكتاب أمر النبي ﷺ الناس أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا، فدخل على أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فشكا ذلك، فقالت: انحر واحلق، فخرج فنحر، وحلق، فنحر الناس وحلقوا حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً[1]. فحصل بهذا الصلح من المصالح ما الله به عليم، ونزلت سورة الفتح، ودخل في السنة السادسة والسابعة في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، ثم دخل الناس في دين الله أفواجاً بعد الفتح في السنة الثامنة، وهذا ببركة الاعتصام بحبل الله تعالى؛ ولهذا قال سهل بن حنيف: «اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أردّ أمر النبي ﷺ لرددته»[2].

٢- حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشيّاً، فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛**

---

(١) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث: ٢٧٣١.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب: حدثنا عبدان، رقم الحديث: ٣١٨١.

فإن كل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١].

٣- عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كُنَّا في جاهِلِيَّةٍ وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: «**نعم**» قلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**»، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنّون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «**نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، فقلت:فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ﷺ: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[٢]. قال الإمام النووي – رحمه الله تعالى-: «وفي حديث حذيفة هذا: لزوم جماعة المسلمين، وإمامهم، ووجوب طاعته، وإن فسق، وعمل المعاصي: من أخذ الأموال، وغير ذلك فتجب طاعته في غير معصية، وفيه معجزات لرسول الله ﷺ، وهي هذه الأمور التي أخبر بها ، وقد وقعت كلها»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) رواه أبو داوود، رقم الحديث: ٢٣٤٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة، رقم الحديث: ٣٦٠٦.

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام النووي، ١٢/ ٣٢٧.

عوامل انتشار الدين الإسلامي [١]

مما تميزت به الدعوة إلى دين الإسلام وصار لها القبول أنه توفر لها من العوامل ما لم يتوفر لغيرها من الدعوات، وذلك لما اعتمدت عليه من أدلة الكتاب والسنة، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وقد تضمنت هذه الأدلة أقوى أسباب الإقناع العقلية والفطرية والشرعية، كل ذلك جعلها تنتشر في أرجاء الأرض وتتقبلها الشعوب، في فترة وجيزة لم يعرف لها نظير في تاريخ الدعوات.

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من عوامل انتشار الدين الإسلامي، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عالمية الدعوة الإسلامية:

إن الآيات في كتاب الله تعالى توضح أن الدعوة عالمية، ليست محدودة بشعب من الشعوب، ولا مكان دون مكان، ولا بزمان دون زمان، دعوة للبشر عامة، ولعموم الأزمنة والأمكنة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨] فهذه آية مكية تبين أن دعوته

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ١٠/ ٣/ ١٤٣٨هـ.

ﷺ للناس كافة، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وبه تم الإسلام، وتأكد ذلك حين صلى بالأنبياء إماماً في صلاة جامعة ببيت المقدس ليلة الإسراء، وتأكدت بذلك وحدة الرسالات، وببعثة رسول الله ﷺ تم بناء الإسلام(١).

ومما يدل على عالمية الدعوة أن الله تعالى رب العالمين وجاءت أول آيات القرآن تؤكد هذا في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، ثم إن القرآن الكريم الذي أنزله رب العالمين إلى نبيه ﷺ هو كتاب للعالمين كافة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١](٢).

ومن الآيات المكية التي أكدت على عالمية الدعوة، قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [ص: ٨٧]. قال الزجاج: (معنى العالمين كل ما خلق الله كما قال: وهو رب كل شيء، وهو جامع كل عالم). (٣)

وكذلك فإن نبي الإسلام محمداً ﷺ جاء رحمة ونوراً لجميع الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

كما أكد نبينا محمد ﷺ عالمية الدعوة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ الله ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».(٤)

وقد بيَّن العلماء معنى السماع المقصود بالحديث قال أبو محمد بن حزم -رحمه الله تعالى-: «أوجب النبي ﷺ الإيمان به على من سمع بأمره ﷺ، فكل من كان

---

(١) انظر: انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين، جميل المصري، ١/ ٧٤ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٧٥.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٤٢١ .

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، رقم الحديث: ٢١٨ .

في أقاصي الجنوب والشمال، والمشرق، وجزائر البحور والمغرب، وأغفال الأرض من أهل الشرك، فسمع بذكره ﷺ، ففرض عليه البحث عن حاله، وإعلامه، والإيمان به، أما من لم يبلغه ذكره ﷺ، فإن كان موحدًا فهو مؤمن على الفطرة الأولى، صحيح الإيمان، لا عذاب عليه في الآخرة، وهو من أهل الجنة، وإن كان غير موحد، فهو من الذين جاء النص بأنه يوقد له يوم القيامة نار فيؤمرون بالدخول فيها، فمن دخلها نجا، ومن أبى هلك» (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر، لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد، لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة؛ ولأن العذر بالخطأ حكم شرعي، فكما أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، والواجبات تنقسم إلى أركان، وواجبات ليست أركانًا، فكذلك الخطأ ينقسم إلى مغفور وغير مغفور، والنصوص إنما أوجبت رفع المؤاخذة بالخطأ لهذه الأمة»(٢).

ومن الأحاديث الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية ما ورد عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى الناس عَامَّةً**» (٣).

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم، ٥/ ١١٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ١٢/ ٤٩٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب التيمم، باب: قول الله ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾ ، رقم الحديث: ٣٣٣.

الفتوحات الإسلامية.

من يقرأ التاريخ ويتعرف على أسباب الحروب بين الدول يجد أنها تحدث لأسباب شتى، اقتصادية أو سياسية أو غير ذلك، لكن ذلك لا ينطبق على الجهاد في الإسلام الذي غايته اخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وقد بيَّن الله ذلك في كتابه فقال: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وعن أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله**»(١)، وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياء ، فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»(٢)، فليس الغاية من الجهاد إلا نشر نور الإسلام وهداية الناس إليه، ويدل على هذا قول عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله تعالى– عبارته المشهورة التي وجهها لأحد ولاته وهي: «إن الله بعث محمدًا داعيًا ولم يبعثه جابيًا»(٣)، وقال ربعي من عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرستم قائد الفرس: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا

(١) رواه البخاري، رقم الحديث: ٣٩٢.
(٢) رواه البخاري، رقم الحديث: ٧٤٥٨.
(٣) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٩ / ٢١٣.

حتى نفضي إلى موعود الله» .[١]

فهذه النصوص الشرعية وغيرها هي التي جعلت الرعيل الأول من سلف هذه الأمة ليعلنوا الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ويحملوا رسالة الإسلام، وإيصالها إلى الناس.

فمضوا في كل اتجاه مقدمين أموالهم وأنفسهم ليخرجوا الشعوب من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام من غير إكراه لأحد على اعتناقه، فكان لهذه الفتوحات الأثر الأكبر في دخول الناس في دين الله أفواجًا.

موافقة تعاليم الإسلام للعقل والفطرة السليمة:

إن دعوة الإسلام هي الموافقة للفطرة السوية وإلى ذلك أشار قول الله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم: ٣٠]، وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**».[٢]

وهكذا كل إنسان يولد مفطور على الإسلام، وأي انحراف عن الإسلام فهو خروج عن الفطرة ولا شك، ولذلك فإننا لا نجد شيئًا من تعاليم الإسلام يخالف الفطرة قط، بل كل الأحكام العقدية والعملية موافقة للفطرة السليمة السوية، أما ما سوى الإسلام من أديان واعتقادات فتشتمل على ما يخالف الفطرة، وهذا أمر ظاهر بيّن عند التأمل والتدبر.

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٧ / ٤٧.

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث: ١٣٥٨.

تبليغ رسالة الإسلام بالقول والعمل:

الدعوة بالقول هي الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى ووسيلتها الأولى؛ فالقرآن الكريم هو قول رب العالمين، نزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ ليكون به التبليغ قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وكان تبليغ رسول الله ﷺ لرسالة ربه للناس بالقول، إذ أمره ربه بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨]. وكذلك أمر الله رسله أجمعين بتبليغ أقوامهم رسالة ربهم بالقول المبين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]، ولا يستقيم الأمر إلا إذا اتبع القول بالعمل، وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن القول دون العمل فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢ – ٣]، هذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ، أي: (لم تقولون من الخير ما لا تفعلونه)، ثم ذمهم سبحانه على ذلك فقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] أي: عظم ذلك في المقت، وهو البغض.(١)

فالداعية إلى الإسلام ينبغي عليه أن يقرن قوله بالعمل، حتى يكون قدوة للمدعوين.

إظهار شعائر الإسلام:

الشعائر: جمع شعيرة وهي: المعلم الواضح مشتقة من الشعور، والمراد

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، ص ١٤٨٧.

بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة.[١]

وشعائر الإسلام الظاهرة التي يجتمع عليها المسلمون كالأذان وصلاة الجماعة، أخبر النبي ﷺ عن فضل هذه الشعائر وفضل من أداها فقد ورد عن النبي ﷺ في فضل الأذان الذي يرفع به صوت التوحيد: «**المؤذن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطبٍ ويابس، وأجره مثل أجر من صلى معه**»[٢]، وقوله ﷺ: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**»[٣]، والأذان داخلٌ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نزلت في المؤذنين».

ولهذا تهاوت مزاعم الغرب بالدعوة إلى الديمقراطية وحريات الأديان عند انتشار المساجد وزيادة أعداد المسلمين وظهور الحجاب في بلاد الغرب لما لها من أثر ظاهر في انتشار الإسلام، فبدأ التصويت لمنع الأذان والتضيق على المرأة المسلمة بسبب حجابها، وإذا نظرت في قضية منع الأذان ومنع الحجاب وجدت أن هذين الأمرين من الدعوة الظاهرة للإسلام، ومن شعائر الدين الظاهرة التي تدعو بنفسها، وتعلن عن دين الله عز وجل.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ٥/ ١١٠٠.
(٢) رواه أبو داوود، رقم الحديث: ٥١٥.
(٣) رواه مسلم، رقم الحديث: ٣٨٧.

التدرج في الدعوة إلى الله تعالى [١]

التدرُّج باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، وهو علم يحتاج إلى فقه كامل بأحكام الدين، ولا أعني بالفقه، حفظ النصوص وأقوال الأئمة، بل كلمة الفقه كلمة واسعة تعني أكثر من ذلك، فالفقه هو العلم بالأحكام ونصوصها ثم ربط هذه الأحكام بعضها ببعض في إطار واحد، تظهر فيه محاسن الشريعة ومقاصدها، وحكم الله تعالى في تشريع شرائعه وأحكامه. [٢]

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية التدرج في الدعوة إلى الله تعالى:

يعتبر التدرج في الدعوة إلى الله تعالى خصيصة من أهم الخصائص التي تيسِّر قَبول دين الإسلام، وتحمُّل تكاليفه، وتطبيقه في الواقع، ومعناه التقدم خطوة خطوة، والبَدْء بالأهم فالمهم؛ للترقي إلى أعلى المراتب. [٣]

ومن أهم دعائم التدرُّج هو علم هذه الأولويات، حتى يتسنى للداعية أنْ

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٥/ ٦ / ١٤٣٨هـ.

(٢) انظر: التدرج في التشريع الإسلامي، ماهر الحولي، ص٢.

(٣) انظر: خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، أمين الدميري، ص٢٦.

يعلم من أين يبدأ، وما هو الذي يجب أنْ يطبق أولاً وإلى ماذا يتدرج منه، ولا يكفي أنْ يكون الداعية عالمـًا بأحكام الدين، حافظـًا لها، عالمـًا بمقاصد الشريعة الإسلامية ومدركـًا لأصولها، بل يجب عليه كذلك أنْ يلم بواقع المجتمع، ويدرس ما فيه من طبائع وصفات ويشخص ما فيه من علل وأمراض، حتى يتمكن من علاجها. (١)

وفهم واقع المجتمع يمكِّن الداعية من تحديد عدة أشياء، منها أمراض المجتمع على وجه التحديد، ثم من أين يبدأ العلاج، وكيف يتدرج به، وما هو الأوْلَى في التقديم والتطبيق، وفهم الواقع كذلك يساعد على تحديد كمية العلاج في كل مرحلة من مراحل التدرُّج، لأن كل مرحلة تحتاج إلى فقه ونوع معين من أنواع العلاج، فالذي لا يفهم واقع المجتمع ولا يتفحص فيه قد يعطي المجتمع في إحدى المراحل أكثر مما يجب أنْ يعطي له فيها، أو قد يعطيه أقل مما يجب أنْ يعطي له فيه، وأمَّا علاج كل مرحلة ونوعه، فإنه يتحدَّد بواقع المجتمع وأفراده، فالمجتمعات متباينة في عاداتها وتقاليدها، وفي درجة التمسُّك بهذه الموروثات والتقاليد، وتختلف كذلك في درجة تمسكها بالدين والالتزام بتعاليمه. (٢)

وما ورد في التشريع الإسلامي من تنجيم في نـزول الوحي ومن تدرج في بناء الأحكام، يعتبر إرشاداً إلهيـًا في كيفية تحويل أهل الجاهلية، إلى واقع الحقيقة الإسلامية، ليكون مبدأً عامـًا في منهجية الصراع مع الواقع الباطل. (٣)

---

(١) انظر: التدرج في التشريع الإسلامي، ماهر الحولي، ص٢.

(٢) انظر: فقه التدرج في التشريع الإسلامي تطبيقًا وفهمًا، معاوية أحمد سيد، ص٤٨.

(٣) انظر: دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية، عبدالمجيد نجار، ص٢٠٢.

وإذا أراد الداعية أن يقيم مجتمعًا إسلاميًا يلتزم أفراده بشريعة الله تعالى، فلا يتوهم أن ذلك يتحقق له دفعة واحدة، بل لا بد أولاً من التهيئة النفسية والفكرية للمدعوين، وذلك بتقديم الأهم من الأمور على المهم منها، والتدرج من المألوف الذي اعتادوا إلى الجديد الذي يهدف إلى إيصالهم إليه، ومن كليات الأمور إلى الجزئيات منها، ولا يباشرهم بالإصلاح دفعة واحدة، فإن ذلك يعتبر مصادمة لهم، وتنفيرًا عن قبول أوامر الدين ونواهيه. (١)

تعريف التدرج في الدعوة إلى الله تعالى:

التقدم بالمدعو شيئًا فشيئًا للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه وَفْقَ طرق مشروعة مخصوصة. (٢)

أقسام التدرج في الدعوة إلى الله تعالى:

والتدرج ذو شقين: شق يتعلق بالكم، وشق يتعلق بالكيف:

فالأول: يعني أن يعطي الداعيةُ المدعوَّ من العلم المقدارَ الملائمَ له، ولا يكثر عليه ويحمله ما لا يطيق، فينوء به ويضيعه كله.

والثاني: ما يتعلق بالكيف والنوع، بمعنى أن يبدأ مع المدعو بالجليّ من العلم قبل الخفي، وبالبسيط قبل المركب. (٣)

---

(١) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز، ص١٧٩.

(٢) انظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم المطلق، ص١٦.

(٣) انظر: الرسول والعلم، يوسف القرضاوي، ص١٣٣.

صور من التدرج التشريعي في القرآن الكريم:

لعل أوضح مثال لهذه الصورة تحريم الخمر، فقد بدأ الأمر بقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] ثم أنزل قوله تعالى: ﴿ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] ثم أنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] ثم كانت النهاية مع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

وقد أظهرت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الحكمة من هذا التدرج التشريعي في الإسلام بقولها: «إنما نزل أوَّل ما نزل منه -أي القرآن- سورة من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا» (١).

وبيَّن ابن حجر العسقلاني -رحمه الله تعالى-في شرحه لهذا الحديث الحكمة من هذا التدرُّج، فقال: (أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب النزول، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: «ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها»

(١) رواه البخاري، رقم الحديث: ٤٧٠٧.

وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف). [١]

صور من التدرج التشريعي في السنة النبوية:

يستدل بالتدرج في السنة النبوية بحديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أرسله النبي ﷺ إلى أهل الكتاب، فقد جاء في الحديث الصحيح: «لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ: **لَهُ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ الناس**». [٢]

التدرج في دعوة غير المسلمين:

الداخل في الإسلام مولودٌ جديد، وحالُ المولود أحوج ما يكون إلى الرِّعاية والعِناية، وهذا الدين متينٌ، ولا يُوغَل فيه إلا برفقٍ، ولا يَصِحُّ أن يُكلَّف المرء ما لا يطِيق أو يُشدَّد عليه في بدء الأمر، وكان النبي ﷺ يُجِيب المسلمَ الجديد بما يقتَضِيه الحالُ، وبالأهم فالأهم؛ إذ لا يُمكِن بيانُ الشريعة دفعةً واحدةً، لا سيَّما لحديثِ عهدٍ بالإسلام، وهذا ما يجبُ أنْ ينهَجَه الداعية مع المسلم الجديد. [٣]

ومن الشَّواهِد على عناية النبيِّ ﷺ بالتدرُّج مع المسلم الجديد ما جاء عن

---

(١) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١/ ٤٨.

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث: ٧٣٧٢.

(٣) انظر: التدرج في دعوة المسلم الجديد، عبدالله اللحيدان، ص١٩.

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ أعرابيًّا أتَى النبيَّ ﷺ فقال: دُلَّني على عملٍ إذا عملتُه، دخلتُ الجنة؟ قال: «**تعبُد الله ولا تُشرِك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتُؤدِّي الزكاة المفروضة، وتَصُوم رمضان**، قال: والذي نفسي بيده، لا أَزِيد على هذا، فلمَّا ولَّى قال النبيُّ ﷺ: **مَن سرَّه أنْ يَنظُر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة، فليَنظُر إلى هذا**». (١)

وهذا الحديث ونحوُه خُوطِب به أعرابٌ حديثو عهدٍ بالإسلام، فاكتَفَى منهم بفِعل الواجب في ذلك الحال؛ لئلاَّ يثقل ذلك عليهم فيملُّوا، حتى إذا انشَرحَتْ صدورُهم للفَهْمِ عنه، والحرص على تحصيل ثواب المندوبات، سهلَتْ عليهم. (٢)

ولم يكن النبي ﷺ يشترط على من جاءه يريد الإسلام أن يلتزم الصلاة والزكاة، بل قبِل من قوم الإسلام واشترطوا أن لا يزكوا، ففي مسند الإمام أحمد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اشترطت ثقيف على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليهم ولاجهاد وأن رسول الله ﷺ قال: «**سيتصدقون ويجاهدون**»، وفيه أيضًا: عن نصر بن عاصم الليثي عن رجل منهم أنه أتى النبي ﷺ فأسلم على أن لايصلي إلا صلاتين فقبِل منه.

وأخذ الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- بهذه الأحاديث، وقال: «يصح الإسلام على الشرط الفاسد، ثم يلزم بشرائع الإسلام كلها». (٣)

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر: التدرج في دعوة المسلم الجديد، عبدالله اللحيدان، ص١٩.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص٨٤-٨٥.

صور من التطبيقات الدعوية في التدرج من السنة النبوية:

تتجلى سنة التدرج في دعوة النبي ﷺ في أمور، أذكر منها:

١- نزول القرآن منجَّمًا حسب الوقائع والأحداث.

٢- البَدْء بالدعوة إلى توحيد الله عز وجل.

٣- البَدْء بدعوة الأقربين.

٤- الدعوة السرية في بداية الأمر، ثم الدعوة جهرًا.

٥- الصبر وتحمل الأذى، ثم رد العدوان، ثم القتال.

٦- بناء جيل الصفوة على الإيمان بالله واليوم الآخر في فترة المرحلة المكية.

٧- عدم الأمر بالتكاليف الشرعية من عبادات ومعاملات في مكة، ثم الأمر بالتكاليف والأوامر الشرعية في المدينة النبوية.

٨- لم يفرض الجهاد إلا بعد قيام الدولة في المدينة النبوية.

٩- لم تفرض التكاليف الشرعية دفعة واحدة، وإنما فرضت تدريجيـًا.

١٠- قَبول بعض أمور الجاهلية حتى تستقر العقيدة وتتهيأ النفوس للتخلِّي عنها.[1]

❁ ❁ ❁

(١) انظر: فقه التدرج في دعوة النبي ﷺ، أمين الدميري، ص٢.

المهارات العملية المؤثرة للداعية [١]

الدعوة إلى الله تعالى دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وحفظ الحقوق، وإقامة العدل بين الناس بإعطاء كل ذي حق حقَّه، وبذلك يتحقق الإخاء والمودة بين المؤمنين، ويستتب الأمن التام والنظام الكامل داخل شريعة الله، وتضمحل كل الأخلاق السافلة والظواهر السيئة من المجتمع المسلم، هذه هي الدعوة إلى الله بمفهومها الواسع الشامل، ولذا جاءت الآيات الكثيرة ترغب فيها، وتحث عليها؛ لأنها وظيفة أنبياء الله والصفوة المباركة من العلماء العاملين في كل زمان ومكان. [٢]

وكان من أهم الأسباب في تحقيق ذلك كله في الدعوة إلى الله تعالى توفر المهارات الدعوية في الدعاة.

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من المهارات العملية المؤثرة للداعية، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مهارات الإلقاء والخطابة:

في كل حديث أو خطاب أو إلقاء مؤثر ونافع لا بد إن تجتمع مجموعة

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٤/ ٢ / ١٤٣٨هـ.

(٢) انظر: أساليب الدعوة، عبدالله الطيَّار، ص٢.

أركان لتكتمل عناصر الحديث، هي:

١- **المتحدث**: من يقوم بإلقاء الخطاب أو الحديث.

٢- **المتلقي**: المستمع لهذا المتحدث.

٣- **الموضوع**: المادة والرسالة التي يتناولها المحدث ليبلغها للمتلقي.

٤- **وسائل ومؤثرات**: الأدوات التي تحيط بالمتحدث ليستعين بها لإيصال رسالته وبالمتلقي لتهيئه لإدراك ما يقال وبالموضوع ليكون مفهومـًا ومدركـًا. (١)

والإلقاء والخطابة علم يمكن للإنسان أن يتعلمه إذا اتبع قواعده وسار على نهجه، والخطيب المتميز له صفات، منها:

١- **الثقافة**: الاطلاع الجيد على علوم القرآن والسنة والمعرفة بفنه الذي يتحدث فيه وإلا كان مناقضـًا لنفسه فسيتضح ذلك للناس سريعـًا.

٢- **موافقة القول للعمل**: وذلك بالصدق في حديثه وعاطفته وصدقه في علاقته مع ربه وتطبيقه لما يقول.

٣- **دراسة علوم اللغة**: لا يحسن بالخطيب أن يجعل المرفوع منصوبـًا والمنصوب مجروراً والمجرور مرفوعـًا هذا بما يتعلق بالنحو، وكذلك إلمامه الجيد بالتراكيب اللفظية وعلوم المعاني وامتلاك مهارة لغوية تبنى لديه معجم واسع من المفردات يزوده بقدرة فائقة على التعبير عن المعنى بأروع طريقة وأبدع أداء.

٤- **الثقة بالنفس**: عندما يكون الخطيب رابط الجأش لا شك أنه سيكون أكثر

---

(١) انظر: مهارات فن الإلقاء المؤثر، محمد حبيب الفندي، ص٦٨.

وصولاً إلى قلوب وعقول الجمهور وكذلك يبدع أكثر فيما يريد إيصاله من رسالة.

٥- **الأمانة العلمية**: عزو المعلومات إلى المصادر والمراجع فهذه أمانة أمام الله تعالى.[١]

مهارات التأليف والكتابة:

نحن لا نتعلم مهارة التأليف والكتابة إلا بعد أن نكون قد تعلمنا مهارات الاستماع والحديث والسؤال والقراءة، والكتابة تتناول جانبًا كبيراً من حياتنا، بل هي تتناول الحياة الإنسانية في جميع جوانبها المادية والمعنوية، فتربط الإنسان بماضيه، وتصوغ حاضره، وتخطط لمستقبله، وبالكتابة نستطيع عرض أفكارنا والتعبير عنها بوسيلة لا تنمحي على مر الأيام والسنين، وهي أكثر أمانة على النص من الحديث الشخصي، وتعمل على نقل المعلومة إلى أكبر عدد ممكن من الناس، وتسمح بالرجوع للمعلومات وقت الحاجة، وتسمح بتقديم جميع المعلومات بصورة تفصيلية واضحة، وإيصالها بفاعلية إلى الجمهور المقصود.

والتأليف والكتابة أيضًا هي أساس العمل الإعلامي، وتدخل في كل عناصره وأدواته ووسائله، مثل المقال الصحفي، والحوار الصحفي، والخبر، والتحقيق، والتقرير، وكذلك الكتابة الإذاعية بشتى أنواع وقوالب البرامج الإذاعية، والكتابة التلفزيونية بشتى أنواع وقوالب البرامج التلفزيونية، والفن الدرامي بشتى قوالب وتجلياته، المسرحية والسينمائية والإذاعية والتلفزيونية، ولكل نوع من أنواع

---

(١) انظر: فنون خطابية ومهارات إلقائية، ماجد الغامدي، الاطلاع على المقال في تاريخ ٨/ ١/ ١٤٣٨هـ موقع صيد الفوائد على رابط: https://saaid.net/aldawah/186.htm

الكتابة تقنياته الخاصة، وقواعده المحددة، وعناصره الفنية، التي تميزه عن غيره من فنون الكتابة الأخرى. (١)

عملية التخطيط للتأليف والكتابة تتضمن عدة خطوات أساسية، منها:

١- **تحديد الأهداف**: فكل نشاط اتصالي له أهداف محددة، فلا معنى لنشاط ليس له هدف ولا مقصد، ولذلك لا بد أن نسأل أنفسنا بوضوح قبل الإعداد للكتابة بسؤال: ماذا نريد؟

٢- **تحديد الجمهور**: الكتابة هي علاقة بين الكاتب والقارئ إذا كانت الصحافة، أو الكاتب والمستمع إذا كانت للإذاعة، أو الكاتب والمشاهد إذا كانت للتلفزيون، فلمن نكتب؟ ومن هم هؤلاء الجمهور الذين نخاطبهم؟ وما هي طبيعتهم وخصائصهم؟

٣- **اختيار فكرة الموضوع**: أهم معايير اختيار الفكرة هو مدى أهميتها بالنسبة إلى الجمهور، واتفاقها مع خبرة الكاتب، وملائمتها للبيئة المحيطة .

٤- **جمع المادة اللازمة**: فنحن لا نكتب من فراغ، وإنما في إطار ما يتوفر لنا من معلومات، من مصادرها المختلفة، على هيئة حقائق، وشواهد، وأمثلة، وأرقام، وإحصائيات، ووسائل توضيحية كالصور، والجداول، والرسوم البيانية.

٥- **تحديد الأسلوب الأمثل للكتابة**: مثل زاوية المعالجة، وتحديد قالب البناء الفني، والصياغة الأسلوبية والتحريرية، ثم المراجعة والتقويم. (٢)

---

(١) انظر: التربية الإعلامية، فهد الشميمري، ص٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦.

مهارات الإقناع والتأثير:

تعريف الإقناع لغةً: الإقبال على الشيء.[١]

تعريف الإقناع اصطلاحًا: فعل متعدد الأشكال يسعى لإحداث تأثير أو تغيير معين في الفرد والجماعة.[٢]

تعريف التأثير لغةً: إبقاء الأثر في الشيء.[٣]

تعريف التأثير اصطلاحًا فإنه يقرب بدرجة كبيرة من تعريف الإقناع، إذ هو أعم منه، فهو إقناع مع ترك أثر في نفس المخاطب، ويظهر ذلك في الحديث عن وجه الصلة بينهما.

الصلة بين الإقناع والتأثير:

هناك جوانب اتصال واختلاف بين اللفظتين تتجلى بالاستقراء اللغوي لهما، ويمكن إجمالها في الآتي:

١- أنهما مترادفتان مع اختصاص أحدهما بمعنى جزئي زائد، لأن الترادف الكلي قليل في اللغة، نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.[٤]

٢- محل الإقناع في الفكر والعاطفة، ومحل التأثير في السلوك.

٣- قد يؤدي الإقناع إلى التأثير، بمعنى أن التأثير غاية الإقناع.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص٨٦٤.

(٢) انظر: الاقناع والتأثير، إبراهيم الحميدان، ص ٢٤٧.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ٣٣

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ١٣/ ٣٤١.

٤- قد ينعكس الواقع فيؤدي التأثير إلى الإقناع مثل: من رأى حادث سيارة فأورث في نفسه القناعة بالتزام نظام المرور.(١)

أهمية الإقناع والتأثير:

ميَّز الله تعالى الإنسان بالعقل وجعله مدنيـًا متواصلاً مع محيطه البشري وغير البشري، وزوده بالعواطف والأحاسيس وكوامن الفطرة الوجدانية؛ ليتأثر ويؤثر في محيطه ويتعايش مع مجتمعه، وقد سلكت الأمم في سابق الأمر ولاحقه العلوم والطرائق لتحفيز وتطوير فن التأثير والإقناع؛ من أجل إيصال وهيمنة علومها وأفكارها على الآخرين، فالجدل البيزنطي وعلم المنطق وغير ذلك لم يوجد إلا من أجل هذا، بل إنها قد تلجأ إلى القمع أحيانـًا ومصادرة حرية التفكير من أجل الإقناع، كما حكى الله عن فرعون قوله: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩].

ولما كان الإسلام دين الحق المهيمن على ما قبله من الأديان، كانت مسألة الإقناع والتأثير حاضرة في نصوصه وآياته وسننه؛ ذلك أن قيامه على الأرض متوقف على دعوة الناس إليه، ولا شك أن وصول الدعوة كامن في طرق الإقناع والتأثير على الآخرين، ويبقى أن يبذل الجهد في استجلاء المنهج الإسلامي في معرفة طرق الإقناع والتأثير مع الاستفادة من التراث الإنساني الصحيح في هذا المجال؛ لينتفع شأن الدعوة والداعي في الوصول إلى المدعو بالهدي الذي جاء به كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.(٢)

---

(١) انظر: الإقناع والتأثير، إبراهيم الحميدان، ص ٢٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٨.

مقومات النجاح في الإقناع والتأثير:

يمكن القول بأن مقومات النجاح في الإقناع والتأثير تتمثل في عدد من الأمور، منها:

١- **حسن العلاقة مع الله تعالى**: تتمثل في مسألتين كبيرتين هما: الإخلاص، ومتابعة السنة النبوية.

٢- **الخلق الحسن**: تعبير شامل لعدد من السلوكيات المحبوبة، ومقياس صحتها ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مثل الصدق والأمانة والكرم وطيب الكلام وحسن العشرة وغيرها، ولا شك أن لصاحب الخلق الحسن درجة عالية وقيمة رفيعة، أخرج الإمام أحمد عن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقًا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أساوئكم أخلاقًا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون**»،[1] كما أن من المشاهد أن حسن الخلق سبب رفعة ومحبة عند الناس وبالتالي نجاح الإقناع والتأثير الذي يمارسه صاحب الخلق الحسن أكثر من غيره، ومن جوانب حسن الخلق المؤثرة في هذا الإطار الإحسان إلى المراد إقناعه والتأثير عليه بكافة أنواع الإحسان الحسية والمعنوية، فذلك سبب لفتح قلبه وإيجاد جسر يسهل انتقال الحق إليه، كما أن الإنصات وحسن الاستماع مع يسره وبساطته وانعدام تكلفته فيه من معاني التكريم وحسن الخلق مع الآخر شيء كثير وله أثر كبير.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٤/ ١٩٣.

٣- **التجويد والاتقان**: يراد به أن يقوم العمل في أكمل صورة، وأن يكون قائماً على نهج صحيح، واستناد على شريعة، فالإقناع والتأثير عمل بشري يرتفع بدرجة إتقانه وحسن الإعداد له، ولا يعنى بذلك التحفز الذي يذهب طبيعة الممارسة ولكن يقصد أن يرتب الداعية نفسه ويعدها بحسب مقدار الحاجة ونوع الإقناع وموضوعه وظروفه والموجه إليه، ويتحقق من قدراته في ذلك ومناسبة الموضوع ومداخل الإقناع التي يستخدمها فيه.[١]

٤- **التدرج في ممارسة الإقناع والتأثير**: نقصد بذلك أن يكون الداعية متدرجاً فيما يريد الإقناع به بحسب أهميته وأثره في إحداث التغيير، كما يكون إيجابياً تجاه تدرج المدعو في التأثر والاقتناع والتغيير ومستوى النجاح الذي تحقق الإقناع به مثل: البدء بالأهم ثم المهم.

٥- **القدرة والتمكن عند المقنع والمؤثر**: القدرة على الإقناع والتأثير مهارة مرغوبة وصفة محبوبة يتفاضل الناس في القدرة الذي وهبهم الخالق سبحانه وتعالى منها، كما يتفاضلون في حسن استخدام هذه القدرة وتوجيهها فيما فيه مرضاة الله تعالى أو في غيره. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣]. قال الإمام القرطبي: «تلك إشارة إلى جميع احتجاجاته حتى خاصمهم وغلبهم بالحجة»[٢]، فالمقصود أن ملكة الإقناع ليست موجودة عند كل أحد ولا يقدر عليها كل مجادل وممارس.

---

(١) انظر: الإقناع والتأثير، إبراهيم الحميدان، ص٢٥٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القران، أبو بكر العربي القرطبي، ٧/ ٣٠.

أساليب الاقناع والتأثير في مجال الدعوة:

لما جاء الإسلام كان له شأن آخر مع الإقناع والتأثير، ولعل استكشاف الوجهة الإسلامية في الإقناع والتأثير أفضل ما يكون في النظر في الآيات التي توجه إلى أساليب الدعوة، مع النظر إلى التطبيقات القرآنية والنبوية في ذلك.

ولقد تحدث العلماء المسلمين وبينوا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥]، وتعتبر الآية أساس في تأصيل أسلوب الإقناع والتأثير في الأمور التالية:

١- **الدعوة تكون بأسلوب الإقناع والتأثير بالحكمة والموعظة الحسنة:** يقول الفخر الرازي: «من لطائف الآية أنه قال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، فقصر الدعوة على هذين القسمين، وأما الجدل فلا يدعى به بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة، فلهذا السبب لم يقل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر». [1]

٢- **الحكمة هنا تطلق ويراد بها:** أنها اسم يجمع العلم والعمل به، والمقصود علم الكتاب والسنة والعمل بهما، ومراعاة مقتضى الحال، أو دعوة كل أحد على حسب حاله وقبوله وانقياده.

---

(١) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ص١٤٩.

٣- **الموعظة الحسنة** الواردة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[النحل: ١٢٥]، تعني الدعوة إلى الله بالترغيب والترهيب، شريطة أن يكون بالأدلة الصحيحة.

٤- **يمكن أن يقصر القول في أسلوب الإقناع** بالأسلوب العقلي العلمي الذي يخاطب العقل، أو بالأسلوب العاطفي الوعظي الذي يخاطب الوجدان.

مهارات التعامل مع التقنيات الحديثة: (١)

إنَّ كيفيَّةَ التَّعاملِ معَ التِّقنيَّةِ الحديثةِ أمرٌ مُهِمٌّ ومُلِحٌّ للغايةِ؛ فنحن في زمنٍ تشتدُّ الحاجةُ فيه لكيفيَّةِ تربيةِ أنفسِنا ومَن تحتَ أيدينا ليُحسِنوا التَّعاملَ معَ هذه التِّقنيّةِ، **وقبلَ طرحِ الوسائلِ فلا بدَّ أن نَقِفَ معَ مفاهيمَ يجبُ مُراعاتُها:**

١- ينبغي النَّظرُ إلى هذه التِّقنيَّةِ نظرةً إيجابيَّةً، لا نظرةً سَلبيَّةً؛ وذلك كي يُستفادَ منها ويُفادَ، فمَن نظر لها على أنَّها ضررٌ كاملٌ وشرٌّ عارمٌ؛ فإنَّه لن يستفيدَ منها، بل قد يكونُ ضررُها أقربَ عليه من نفعِها! وذلك لتَوجُّسِه وهربِه من الاستفادةِ منها، فيفوتُه بذلك مصالحُ كثيرةٌ، كما أنَّه لن يُحسِنَ التَّخلُّصَ من مصائبِها.

٢- لِيُعلَمْ أنَّ هذه التِّقنيَّةَ ما وُضِعت للإضرارِ بالإنسانِ، بل لخدمتِه، وتعليمِه، وحفظِ وقتِه، وتسهيلِ مُعامَلاتِه، وتقريبِ البعيدِ له.

٣- هذه التِّقنيَّةُ واسعةُ العطنِ، بعيدةُ الجانبينِ، فهي بحرٌ لا ساحلَ له، فعلى الإنسانِ أن يأخذَ منها ما يُفيدُ، ولا يُشغِلَ نفسَه بكثرةِ تَتبُّعِ الجديدِ فيها،

---

(١) انظر: الوسائل العلمية لكيفية التعامل والاستفادة مع التقنية الحديثة، ظافر آل جبعان، ص٢-٤.

فجديدُها مُشغِلٌ، والتَّوغُّلُ فيها مَضْيعةٌ للمالِ والجهدِ.

٤- إنَّ ثقافةَ المنعِ السَّائدةَ قديمًا أصبحت في هذا الزَّمنِ من المُحالِ، فمَن ظنَّ أنَّه يستطيعُ الامتناعَ عن استخدامِ هذه التِّقنيَّاتِ الحديثةِ، أو منعَ مَن تحتَ يدِه مِن التَّعاملِ معَها؛ فهو يعيشُ في غيرِ زمنِه، والحكمةُ في هذا الشَّأنِ: أن يَتعرَّفَ عليها، ويُحسِنَ استعمالَها، ويَتوجَّهَ ويُوجِّهَ للإفادةِ والاستفادةِ منها.

وأما الحديثُ عن الوسائلِ العمليَّةِ الَّتي من خلالِها نستفيدُ مِن هذه التِّقنيَّةِ الحديثةِ، وكيف نستطيعُ ويستطيعُ المُربِّي أو المُتربِّي أن يتعاملَ معَها تعاملًا إيجابيًّا؛ فمِن خلالِ ما يلي:

١- التَّربيةُ على المُراقَبةِ؛ فتربيةُ الإنسانِ نفسَه ومَن تحتَ يدِه على مُراقَبةِ اللهِ، واستشعارِ أنَّ اللهَ يراه، ومُطَّلِعٌ على جميعِ حركاتِه وسكناتِه، كُلُّ ذلك يكونُ حاملًا له على أن يتَّقيَ اللهَ في سمعِه وبصرِه، وفي لسانِه وفرجِه، وفي يدِه ورجلِه، وفي خطراتِه وهمِّه، فمَن يتعاملْ معَ هذه الوسائلِ بغيرِ تقوى؛ فإنَّه للوقوعِ في الغَوايةِ أقربُ وأقوى، فإذا تَذكَّر العبدُ أنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عليه ومُراقِبٌ له؛ سَلِم له دينُه، واستفاد من هذه التِّقنيَّةِ.

٢- التَّحصينُ والوقايةُ؛ فكما قيل: «درهمُ وقايةٍ خيرٌ من قنطارِ علاجٍ». ويكونُ التَّحصينُ والوقايةُ هنا ببيانِ مفاسدِ التِّقنيَّةِ ومَضارِّها في النَّواحي المُختلِفةِ؛ دِينيَّةً، أو أخلاقيَّةً، فكريَّةً، أو اجتماعيَّةً، أو صِحِّيَّةً، فالتَّحصينُ يقي -بإذنِ اللهِ تعالى- من سوءِ استخدامِها أو يُقلِّلُ من مفاسدِها، فلا بدَّ من بيانِ هذه المخاطرِ والشُّرورِ؛ ليتمَّ الحذرُ منها، فإذا عَرَف الجميعُ أنَّ هناك مَن يَستغِلُّ هذه التِّقنيَّةَ لإفسادِ أخلاقِنا وأخلاقِ أبنائِنا وبناتِنا، ولتشويهِ أفكارِنا

وأفكارِهم، وللتَّشكيكِ في دينِنا بطرحِ الشُّبُهاتِ وإثارةِ الإشكالاتِ، كان ذلك حاملًا لأن نُحذِّرَ ونُنذِرَ، ونتَّقيَ ونَحذَرَ؛ فينبغي أن نحذرَ الشَّرَّ والغدرَ، وأن نكونَ أهلَ يقظةٍ وإيمانٍ، لا أهلَ غفلةٍ وعصيانٍ.

٣- أن نَتعلَّمَ ونُعلِّمَ مَن تحتَ أيدِينا آدابَ وأخلاقيَّاتِ التَّعاملِ معَ التِّقنيَّةِ، وعدمِ الإفراطِ في استخدامِها، والاستفادةِ من هذه التِّقنيَّةِ بما يُفيدُ، والاحترازِ مِن المُشارَكةِ في وضعِ ونقلِ الأخبارِ الكاذبةِ، واحترامِ آدابِ المَجالِسِ والمُجالَسةِ، وعدمِ الانشغالِ بها أثناءَ قيادةِ السَّيَّارةِ وخاصَّةً في الزِّحامِ، وعدمِ التَّساهلِ والتَّهاونِ في استخدامِها إلى غيرِ ذلك؛ فتَعلُّمُ آدابِها يَحمِلُ على حُسنِ الاستفادةِ منها.

٤- التَّعرُّفُ على كيفيَّةِ الاستفادةِ منها؛ وذلك بسؤالِ أهلِ الخبرةِ، أو بالمُشارَكةِ معَ المُتربِّي ابتداءً، للتَّعرُّفِ على الطَّريقِ السَّليمةِ لاستعمالِها وحُسنِ الاستفادةِ منها، وما المَواقعُ النَّظيفةُ والمفيدةُ، والألعابُ النَّقيَّةُ، وكيف تتَّقي المواقعَ الضَّارَّةَ المحظورةَ، والأماكنَ الفاسدةَ، ومِن ذلك الاشتراكُ في برامجَ آمنةٍ، وتحميلُها لحمايةِ المستخدمِ من التَّدخُّلِ السَّافرِ، والمواطنِ الضَّارَّةِ.

٥- تسخيرُ التِّقنيَّةِ فيما يعودُ بالنَّفعِ على الشَّخصِ في دينِه ودنياه؛ من الاستفادةِ منها في التَّذكيرِ والتَّنبيهِ، وترتيبِ المواعيدِ، وغيرِ ذلك؛ وبما يعودُ على أُمَّتِه ومُجتمَعِه بالنَّفعِ، فعندَما تُستخدَمُ هذه التِّقنيَّةُ في نشرِ الخيرِ، وتعليمِ الجاهلِ، وتسهيلِ بعضِ مُعامَلاتِ الناس؛ فكم سيكونُ فيها من أجرٍ، وكم سيُحازُ بسببِها من برٍّ.

آخرُ هذه الوسائلِ: الدعاءُ؛ فلا تُغفِلُوا الدعاءَ لأنفسِكم ولا لأبنائِكم، واعلَمُوا أنَّ الدعاءَ يحفظُ ويمنعُ، ويرفعُ ويضعُ، ويُقرِّبُ ويُبعِدُ، فأَكثِروا من الدعاءِ لأنفسِكم وذُرِّيَّاتِكم، خُصُّوهم في صلاتِكم بالدعاءِ بأن يحفظَ اللهُ عليهم دينَهم وأخلاقَهم، ويمنعَهم من مساوئِ الأخلاقِ ورديءِ الفِعالِ والأقوالِ، فهذا أبو الأنبياءِ إبراهيمُ -عليه السَّلامُ- معَ أنَّه نبيٌّ، واللهُ يحفظُ الأنبياءَ في ذُرِّيَّاتِهم المُسلِمةِ، إلَّا أنَّه لم يُغفِلِ الدعاءَ لنفسِه وولدِه، فكان من دعائِه: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠﴾[إبراهيم: ٤٠].

❁ ❁ ❁

معوقات الدعوة المعاصرة [١]

معوقات الدعوة المعاصرة تتعلق بدراسة الأمور المعنوية والمادية التي تعترض سير الدعوة إلى الله تعالى، وهناك صعوبات كثيرة ومعوقات مختلفة تواجه الدعوة الإسلامية المعاصرة، وتتفاوت هذه الصعوبات والمعوقات من بلد لآخر من حيث القوة والضعف، والأسباب والمظاهر، وسبل العلاج، ولكن لا تكاد تخلو بيئة من معظمها.

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من معوقات الدعوة المعاصرة، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لايخفى على المتخصصين في المجال الدعوي أن المعوقات في الدعوة المعاصرة كثيرة، ولعلي أتحدث عن خمسة منها أحسب أنها عائقًا في المجال الدعوي في معظم البلاد الإسلامية، وهذه المعوقات كالتالي:

أولاً: الفوضوية في حياة الدعاة

السلبيات ومظاهر الفوضوية في العمل الدعوي كثيرة، وليس من الصواب أن نتهرب منها، بل علينا أن نعترف بها ونواجهها بشجاعة ونسعى لحلها، ومن أبرز تلك السلبيات:

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٤/ ٢ / ١٤٣٨هـ.

١- الانتقاء العشوائي: الداعية يهتم بمن جاء إليه، ودخل تحت سقف مسجده، دون تأمل أو تفكير عميق: هل يصلح هذا المدعو أم لا؟ إلى أي مرحلة سأصل معه؟ ومن ثم نجد من يمشي مع صاحبه سنين عدداً، ثم يصاب بالإحباط لأنه فوجئ بأن صاحبه هذا لا يمكن أن يستمر بحال! أفلا وعيت من قبل أيها الداعي؟

٢- سير الدعوة بدون تخطيط على الورق معناه الفوضى وعدم الانضباط، وانظر في واقعنا: لو سألت أحد الدعاة: ما المرحلة التي بلغها من تدعوه؟ لما عرف كيف يجيبك، ولو طلبت منه أن يشرح لك تصوره التفصيلي للمرحلة القادمة لما أجابك إلا بعموميات لا تفصيل فيها.

٣- لا أدري ماذا أقول! هذا شعور يدل على فوضوية الداعي، فحين يكون مع المدعو في سيارة أو في مجلس تجده صامتاً لا يدري ماذا يقول؟ أو تجده يرمي الكلام على عواهنه دون وعي أو تفكير، وفي أحسن الأحوال تخطر في باله قصة أو فكرة فيقولها دون أن تكون منتظمة في إطار متناسق مع غيرها من الأفكار والقصص.

٤- ماذا أعطيه؟ تسأل الداعية أحياناً: ماذا أعطيت المدعو ليقرأه أو ليسمعه؟ فتجد خلطاً عجيباً من العناوين، وتجد أشياء غير جيدة، وتجد أشياء لا تناسب المستوى الفكري والإيماني للمدعو، وتجد أن بعض الجوانب فيها يطغى على بعض.

٥- عدم التجانس التربوي: هذه ظاهرة خطيرة، وصورة سيئة من الفوضوية لدى الدعاة، فحين يغيب النظام وتحل الفوضوية، وعندما تتأمل في طرائق

التربية فتجد أن الداعية الذي تميز في الجانب الإيماني يغترف من بضاعته للمدعو فيغرقه بالإيمانيات، أما الفكر والثقافة والمهارات العملية فتجده أبعد ما يكون عن محاولة تعلمها، فضلاً عن تلقينها لصاحبه. (١)

ثانيًا: الرغبة في الصدارة والإمارة

لا غرابة في حرص أهل الدنيا على الإمارة والولايات؛ فذلك أمر تعوّده الناس منهم، حتى أفضى الأمر إلى نزاعات وخلافات ومفاسد وفتن كثيرة، ولكن الغريب أن يتسلل هذا الداء إلى داخل التجمعات الدعوية، ويسيطر على بعض النفوس المريضة، شعرت أم لم تشعر، حتى يصير همّ الواحد منهم أن يسود على بضعة أفراد، دون التفكير بتوابع ذلك وخطورته. (٢)

والحرص على الإمارة يفسد دين المرء الحريص عليها، ويضيع نصيبه في الآخرة، ويجعله شخصاً غير صالح لهذا المنصب، وتوضيح ذلك كما يلي:

١- تحذير النبي ﷺ من عواقب التطلع إلى الإمارة: قال: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه**» (٣).

فبيّن أن الفساد الحاصل للعبد من جراء حرصه على المال والشرف: أشد من الفساد الحاصل للغنم التي غاب عنها رعاتها ليلاً، وأُرسل فيها ذئبان جائعان يفترسان ويأكلان، وإذا كان لا ينجو من الغنم إلا القليل منها؛ فإن الحريص على المال والشرف لا يكاد يسلم له دينه.

---

(١) انظر: الفوضوية في حياة الدعاة، محمد علي، ص١-٢.

(٢) انظر: مجلة البيان، عدد ٩٠، ص ١١١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٣/ ٤٦٠.

٢- بيان طرق الناس في طلب الجاه: للناس في طلب الجاه طريقان، هما: الطريق الأول: طلبه بالولاية والسلطان وبذل المال؛ فإن الله جعل الآخرة لعباده المتواضعين، فقال: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] دلت الآية على أن الذين يريدون العلو في الأرض والفساد ليس لهم في الآخرة حظ ولا نصيب.(١) الطريق الثاني: طلب الجاه بالأمور الدينية، وهذا أفحش وأخطر؛ لأنه طلب للدنيا بالدين، وتوصل إلى أغراض دنيوية بوسائل جعلها الله تعالى طرقًا للقرب منه ورفعة الدرجات.

٣- النهي عن سؤال الإمارة: وردت النصوص الشرعية التي تنهى عن سؤال الإمارة وتمنيها، وتحذِّر من ذلك، وتبيَّن عاقبته، وتنهى عن تولية من سألها أو حرص عليها، وهي وإن كان يتبادر إلى الذهن أنها واردة في الإمارة الدنيوية -إمارة السلطان والوالي- إلا أن دلالتها أشمل من ذلك وأوسع، كقول النبي ﷺ: «**يا عبد الرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها**»(٢).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص ٥٧٥.
(٢) رواه البخاري، رقم الحديث:٧١٤٦.

من مظاهر الحرص على الإمارة، منها:

١- العجب بالنفس، وكثرة مدحها، والحرص على وصفها بالألقاب المفخمة كالشيخ، والأستاذ، والداعية، وطالب العلم، ونحوها، وإظهار محاسنها من علم وخُلُق وغيرها.

٢- بيان عيوب الآخرين -خاصة الأقران- والغيرة منهم عند مدحهم والتقليل من شأنهم.

٣- الشكوى من عدم نيله لمنصب ما، وكثرة سؤاله عن الأسس والمعايير لتقلّد بعض المناصب.

٤- كثرة النقد بسبب وبغير سبب، ومحاولة التقليل من أهمية المبادرات والمشاريع الصادرة من غيره والعمل على إخفاقها.

٥- الجرأة على الفتوى، والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها.[1]

من آثار ومفاسد التطلع للإمارة:

أ - مفاسد التطلع إلى الإمارة والرغبة فيها، منها:

١- فساد النية، وضياع الإخلاص، أو ضعفه، ودنو الهمة، والغفلة عن الله تعالى، وعن الاستعانة به.

٢- انصراف الهمّ عن المهمة الأساس، والغاية الكبرى من حياة العبد، وهو تحقيق العبودية كلها لله تعالى.

٣- المداهنة في دين الله تعالى بالسكوت عما يجب قوله والقيام به من الحق،

---

(١) انظر: مشكلات وحلول في حقل الدعوة الإسلامية، عبدالحميد البلالي، ص ٨٥-١٤٣.

وربما بقول الباطل من تحليل حرام، أو تحريم حلال، أو قول على الله بلا علم.

ب- من مفاسد الحصول على الإمارة للراغب فيها المتشوِّف لها، منها:

١- الحرمان من توفيق الله تعالى وعونه وتسديده.

٢- تعريض النفس للفتنة في الدين، والتي يترتب عليها غضب الله تعالى إذ ربما يَنْسى مراقبة الله تعالى، وتبعات الأمر، ويغفل عن الحساب، فقد يظلم ويبغي.

٣- توقع سوء العاقبة في الدنيا، وحصول بلاء لا يؤجر عليه.

ج – من آثار التطلع للإمارة على صعيد الجماعة والمجتمع، منها:

الفرد والجماعة كلٌ منهما مؤثر في الآخر متأثر به، وبئست الدعوة حينما تكون مغنماً وجاهاً، ينتفع فيها المرء ويتبختر، وبئس الداعية حينما يسعى لاهثاً وراء زخارف الدنيا ومتاعها الفاني؛ فإن حب الظهور والبروز بداية الانحراف والسقوط والإخفاق. فإذا كان الله عز وجل يعطي الكافر والمؤمن من الدنيا لهوانها عنده، ولكنه سبحانه أغير من أن يتم أمره بالتمكين لهذا الدين في الأرض على يد أناس عندهم شوب في الإخلاص، ويحبون الرئاسة والاستعلاء في الأرض؛ فكيف إذا كانوا يتخذون الدين مطية للدنيا، يبيعون دينهم بعرض قليل؟!.[1]

(١) انظر: خواطر في الدعوة، محمد العبدة، ٢/ ٢٣

من أسباب الرغبة في التطلع للصدارة والإمارة:

يُبتلى بهذه الشهوة الخفية العلماء والعبَّاد والدعاة والمجاهدون ونحوهم؛ وذلك أنهم منعوا أنفسهم من المعاصي والشهوات، حتى لم يعد لهم فيها مطمع، ولكن نفوس بعضهم تبحث عن بديل ومكافأة لشدة المجاهدة، فتجده في التظاهر بالصلاح والعلم والدعوة ولذة القبول عند الخلق، وتوقيرهم له واحترامهم وطاعتهم، فيهون عليها ترك المعاصي؛ لأنها وجدت لذة أعظم منها، وهذه مكيدة عظيمة؛ فقد يظن العبد نفسه مخلصاً، وأسباب هذا الأمر في الحقيقة كثيرة، منها:

١- ضعف الإيمان والرغبة فيما عند الله تعالى، الذي بسببه يركن هؤلاء إلى الدنيا، ويؤثرونها على الآخرة، وأشد من هذا: (فساد النيّة)، واتخاذ سبيل العلم والدعوة سُلماً لنيل الأغراض الشخصية، وما لهذا في الآخرة من نصيب، فلْيَنَلْ حظه من الدنيا!!.

٢- هناك أخطاء تربوية تسهم في إشعال فتيل حب الزعامة، منها: الإكثار من مدحه والثناء عليه، أو عدم الكشف عن الطاقات الكامنة في المتربي لتوظيفها فيما يناسبها، مما يجعله يسعى لتوظيفها في هلاكه، ومنها: الغفلة عن بذور هذا المرض الأولية التي قد تبدو في سن مبكرة من المراحل التربوية، فتحتاج إلى تهذيب وترشيد ومتابعة؛ لئلا تجمح بصاحبها.

٣- التوهم بخدمة الدعوة من خلال المنصب، والظن -أحياناً- بأن الإصلاح لا يكون إلا من مصدر القوة، وسبب هذا: (عدم وضوح المنهج النبوي في الدعوة).

٤- طبيعة الشخص نفسه، فقد يكون فيها من الثغرات ما يسبب مثل هذا،

كالغيرة من أقرانه الذين نالوا ما يتمناه هو، أو غروره بسبب تفوقه على غيره، أو بروزه في الدعوة، أو توليه بعض المسؤوليات والمهام.

٥- الظن بأن المنصب تشريف، والغفلة عن كونه تكليفاً ثقيلاً، ومسؤوليةً ضخمة، وعبئاً ثقيلاً، وهذا يتطلب من صاحبه التضحية بوقته وماله ونفسه وراحته لمصلحة الآخرين، وأن التقصير فيه خيانة للأمانة وتضييع للواجب.[١]

علاج الرغبة في التطلع للصدارة وللإمارة:

بعد تدبر الأسباب يظهر أن العلاج يتطلب خطوات، من أهمها:

١- تكثيف التربية الإيمانية؛ القائمة على الإخلاص والتجرد لله تعالى، والعمل للآخرة، والزهد في الدنيا.

٢- التربية على الطاعة وهضم النفس منذ الصغر، والرضا بالموقع الذي يعمل فيه، وأداء واجبه أيـًا كان نوعه.

٣- التزام الضوابط الشرعية في المدح، وتجنب مدح أحد الأقران أمام قرينه مطلقـًا.

٤- توضيح الأسس الشرعية لاختيار الأمير، وأنه لا يجوز طلب الإمارة، ولا الحرص عليها، وأن من طلبها لا يُوَلاّها، وإن وُلِّيها لم يُعَن عليها.

٥- المصارحة والمكاشفة لمن تبدو عليه علامات الحرص، مع إحسان الظن به، فقد يكون متميزاً أو لديه مهارات فطرية، ومن ثَمّ النصيحة الفردية.[٢]

---

(١) انظر: مشكلات وحلول في حقل الدعوة الإسلامية، عبدالحميد البلالي، ص ٨٥-١٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٥-١٤٣.

التوازن بين كراهية الصدارة والإمارة، وبين وجوب قيادة الناس:

لا ينبغي أن يفهم من هذا الموضوع إرادة قتل الطموح، وتفضيل دنو الهمة والخمول والعجز والكسل والتهرب من المسؤولية، وترك العمل، والتخاذل عن الواجبات، وفروض الكفايات، وترك اغتنام الفرص النافعة في الدعوة إلى الله تعالى، وقد جعل ابن القيم رحمه الله تعالى الفرق بين الأمرين كالفرق بين تعظيم أمر الله تعالى وتعظيم النفس.

فالناصح لله عز وجل المعظم له يحب نصرة دينه، فلا يضره تمنيه أن يكون ذلك بسببه وأن يكون قدوة في الخير.

وأما طالب الرئاسة فهو ساعٍ في حظوظ دنياه، ولذا ترتب على قصده مفاسد على الفرد والمجتمع والمجال الدعوي لا حصر لها.[١]

ثالثًا: الترف وخطره على الدعوة والدعاة

حقيقة الترف:

مجاوزة حد الاعتدال بنعمة أو الإكثار من النعم التي يحصل بها الترف.[٢]

موقف الإسلام من الترف:

ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها في موضع الذم له والتحذير منه، كما ورد العديد من الأحاديث النبوية التي ينهى بعضها عن الترف

---

(١) انظر: مشكلات وحلول في حقل الدعوة الإسلامية، عبدالحميد البلالي، ص ٨٥-١٤٣.

(٢) انظر: الترف، ناصر بن عمار، ص٧.

جملة وتحذر من تعلُّق القلب به، وغلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتها، وبعضها الآخر ينهى عن مظهر من مظاهر الترف، ويحث على تركه والانصراف عنه إلى ما هو خير في الدارين.[١]

من مظاهر الترف:

١- الإفراط في تناول الطعام والشراب وتوفير متطلبات النفس مما لذ وطاب، وجعل المال في الملابس الراقية، والاكتفاء بلبس الجديد والفاخر، حتى كثرت بسبب ذلك الملابس غير المستخدمة في المنازل، وتكدست مع وجود تنوع في الاستعمال حسب تعدد فصول العام، واختلاف أوقات اليوم، ويبرز الترف في هذا الجانب لدى النساء.

٢- صرف الأموال الكثيرة في السيارات والحرص على ضخامتها وتعددها حسب أحجامها وأنواعها، وتسليم بعضها لمراهقين يستخدمونها -غالبًا- في غير ما وضعت له.

٣- الاستكثار من وسائل الزينة والاعتناء الزائد بالنفس، والإفراط في التدهن والتطيب والترجيل للشعر، ونحو ذلك من أمور الناس حتى إن بعضهم ليزيد إنفاقه على زينته وبعض مظاهر الترف الأخرى على دخله، مما يضطره إلى الاقتراض.

٤- عدم الحرص على الطاعة، والتواني عن القيام بما يقِّرب في الآخرة سواء أكان ذلك فيما يتعلق بذات الشخص كصلاة النفل وصيام التطوع، أو فيما يتعلق بشؤون الدعوة، إذ تكثر عند التنفيذ المشاغل وتتعدد المبررات للتقاعس عن

---

(١) انظر: الترف، ناصر بن عمار، ص ٥.

العمل أو التأخر في أدائه، وسرعة في تحقيق مطلوبات النفس وشهواتها.

٥- تتبع أقوال أهل العلم للأخذ بالأيسر منها، ويرجع ذلك إلى أن كثرة النعم تقود إلى الدعة والراحة، وتلك تقود إلى اقتحام سبيل الشهوات والانغماس في الملذات، التي قد لا يجد العبد متنفساً له فيما أحل الله تعالى فيقرر الأخذ بما يراه حراماً، ولكن لكي يزيل الحرج عن نفسه، ويدفع عنه لوم الآخرين، ويقوم بتتبع أقوال أهل العلم في الأمر الذي قرر إتيانه إلى أن يجد له عالماً في القديم أو الحديث يقول بجواز فعله، فيفرح به ويبدأ بإعلانه ونشره لا اعتقاداً بصحة ذلك القول والرغبة في إذاعته، ولكن حباً في رفع الحرج عن النفس نظراً لموافقة ذلك القول لما قد عزمت نفسه على فعله[١].

من أسباب الترف:

انشغال بعض المنتسبين إلى الدعوة بالترف له أسباب عديدة، منها:

١- طول الأمل ونسيان الموت.

٢- حب التقليد أو التأثر بضغوط الواقع.

٣- ضعف التربية الإيمانية.

٤- كثرة المال ووفرة النعم.

٥- حب النفس للشهوات. [٢]

---

(١) انظر: الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني، ص ٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٩.

من آثار الترف العامة:

١- زيغ بعض الناس وانحرافهم وخروجهم من عداد الصالحين نتيجة الإكثار من الملذات والشهوات المباحة أولاً، ثم التوسع فيها حتى يخرجوا عن دائرة المباح إلى دائرة المشتبه فيه، ومع الزمن يقعون في المحرمات قليلاً قليلاً حتى يصلوا إلى مرحلة الهلكة وزيغان القلب، وخروجه إلى دائرة الفسق إن لم يتجاوزها، نسأل الله السلامة.

٢- العُجْب بالنفس والتكبر على الآخرين، وهاتان الصفتان موجودتان لدى بعض الدعاة نتيجة عيشهم في أوساط النعيم، ولكنهم لا يتمكنون -في الغالب-من الشعور بها إلا من أدام منهم النظر في حاله أو نبهه عليها آخر ممن وفقهم ربهم وصانهم من الوقوع فيها، وذلك راجع إلى كونهما تبدءان في النفوس كخيط رفيع لا يُرى ثم يكبر شيئًا فشيئًا حتى يبين ويتضح، ويكون الداعية عند ذلك قد غفل وخف مبدأ محاسبته لنفسه.

٣- كسر قلوب الضعفاء وذوي الفقر والحاجة في المجتمع من جهة، وتكون الحقد لديهم على ذوي اليسار والترف من جهة أخرى، نتيجة ما يلاحظونه من وجود فوارق كبيرة في العيش والإنفاق بين طبقات المجتمع المختلفة، وذلك من خلال المقارنة بين حال المترفين العابثين بالأموال اللاهين بالنعم، الذين لا يعرفون فضل الخيرات وقيمتها ممن لا يقدمون معروفًا لمستحقيه، وبين أحوالهم حين يرون أنفسهم لا يستطيعون الحصول على ضروريات الحياة وحاجياتها.

٤- ضياع الأموال والعبث بها في الترهات مما أدى إلى عجز بعض الناس عن

القيام بالواجبات، فكيف بالمستحبات؟ بل إن الأمر قد وصل بأناس إلى الاقتراض للإنفاق على الملذات وما تشتهيه الأنفس.

٥- قساوة القلب وغلظة الحس وثقل البدن مما يؤدي إلى نسيان العلم وزوال الفطنة والحرمان من متعة، التطلع إلى ما وراء اللذة الآنية بالإضافة إلى الحرمان للنفس من متعه الاهتمامات الكبرى اللائقة بالدور العظيم للمسلم في هذه الحياة مع انشغال القلب عن التبصر بما يدور حوله للعبرة والعظة من ذلك نتيجة غرقه في لجة اللذائذ والشهوات. (١)

من آثار الترف على مسيرة الدعوة والدعاة:

١- أن المترفين من الدعاة حريصون على تقليد تجارب دعوية سابقة، وقل إن يبرز من أوساطهم قيادات دعوية جديدة تتأمل في تجارب من سبقها وتأخذ منها ما كان صالحاً في نفسه ومناسباً للمرحلة التي تمر بها الدعوة، وما لم تجده لدى السابقين كذلك اجتهدت فيه على ضوء تعاليم الشرع وفي ظل متطلبات الواقع.

٢- عدم تقدم الدعوة إلى مراحل متقدمة، بل تأخرها إن لم يصل الأمر إلى انشقاقها نتيجة اختلاف الرأي بين المترفين وغير المترفين من الدعاة.

٣- أن الداعية المترف أقل اهتماماً بدعوته والقيام بها من غيره، وذلك لأنه عقد همته للشهوات والتلذذ بالنعم والملذات وطلب أسباب ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: هو عاجز عن القيام بأمور نفسه فكيف يقوم بأمور الدعوة؟.

---

(١) انظر: الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني، ص ٦.

٤- أن الداعية المترف أقل إفادة للمدعوين من غيره، وذلك لأن انغماسه في النعيم وتحصيل أسبابه مانع له من التزود بالعلم الشرعي، مما يعني اكتفاءه بتقديم ما عنده من معلومات، فإذا انتهت بدأ بتكرارها، وهكذا.

٥- الترف يدفع الدعاة إلى عدم نشر الدعوة بجدية بين كافة فئات المجتمع، كما أنه يؤدي إلى فتور المربين عن ممارسة الأعمال التربوية نظراً لمشقة ذلك على النفس وما تتطلبه العملية التربوية من وقت وجهد، وذلك ما يعجز عنه المترفون لعدم تعودهم عليه.[1]

علاج الترف وكيفية تجاوزه:

١- لابد للمترف من النظر في هدي السلف الصالح في التعامل مع متع الحياة وملذاتها، للأخذ منهم والسير على هديهم.

٢- توجيهات عامة للمترف يمكنه القيام بها:

أ – لابد للعبد من إشغال نفسه بما يعود عليه نفعه في الآخرة، وذلك لأن النفس إذا رباها صاحبها على جعل ذلك هدفًا، تترتب الأولويات لديها فتقدم الأنفع على النافع، والنافع على ما ليس فيه نفع، وحين تفعل النفس ذلك فإنها ستتعالى عن التعلق بمتع الحياة.

ب- النظر في حال أهل الترف قديمًا وحديثًا، والتأمل في أوضاعهم وما يعانيه غالبهم من غفلة، وقلة طاعة، وقسوة قلب، وكثرة هم، وتشتت فكر، بالإضافة إلى الفجيعة من تقلب الأحوال والخوف من انصرام ما هم عليه من نعيم وملذات: كفيل بردع العاقل عن التعلق بالملذات.

---

(١) انظر: الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني، ص ٧.

ج - لابد للمترف من النظر في أحوال المسلمين والتأمل في شدة ما يعانون من فقر وجهل ومرض، بالإضافة إلى ما يتعرضون له من حروب، ليعرف شدة خطئه في ترفه، وأن الأنفع له تقديم ما يفيض عن حاجته إلى إخوانه. (١)

٣- وسائل يحسن للمربين الأخذ بها للتخفيف من الترف وآثاره:

أ - تربية من في تلك المحاضن على الاستقامة والجدية، وتعويدهم على أخذ الإسلام بجدية بحيث يبادرون إلى فعل المحبوبات سواء أكانت واجبات أو مستحبات، وإلى ترك المبغوضات سواء أكانت محرمات أو مكروهات.

ب- تصريف طاقات المتربين وتوجيههم إلى حسن استثمار أوقاتهم، لأن من أبرز دواعي الترف وأسبابه ارتفاع نسبة الفراغ في أوقات الشباب، مع وجود طاقات بحاجة إلى توجيه من قبل المربين لتصريفها تصريفاً حسناً ووضعها في المسار الصحيح.

ج - لابد للمربين أن يبينوا للذين يربونهم -خاصة في المجتمعات المترفة- منهج الإسلام في التعامل مع النعم، والسعي بجد إلى ممارستهم ذلك المنهج في واقع حياتهم العملية مع متابعتهم -بأسلوب مناسب-أثناء التطبيق والممارسة من أجل رفع معنوياتهم، وتشجيعهم حال الإصابة، وتوجيههم إلى الحق حال مجانبته والوقوع في ضده. (٢)

---

(١) انظر: الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني، ص ٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٠.

رابعًا: الفتور الدعوي عند الدعاة

الناظر في حال دعاة الأمة يجد تقهقراً عن القيام بالواجب الدعوي وحين نتلمس الأسباب التي أدت إلى ذلك، فإننا نجد أنها ترجع إلى أمور يمكن الإشارة إلى شيء منها:

١- الانهزامية والشعور بالضعف أمام تيارات الفساد، وتطرُّق الإحباط إلى النفوس من جراء كثرة الشر والباطل وتفنن أهله في عرضه وترويجه فوقع في بعض النفوس اليأس.

٢- تصور بعضهم ضيق ميدان الدعوة وأنه محصور في خطبة على منبر أو محاضرة مرتجلة أو كلمة أمام الجماهير، وهو غير قادر على شيء من ذلك، فينصرف عن الدعوة بالكلية.

٣- الصدمات التي قد يتعرض لها بعض العاملين في حقل الدعوة والمضايقات التي قد تحصل لبعض الدعاة، فربما كان سبباً في تطلب بعضهم للسلامة بزعمه، وقد وقع في العطب.

٤- تقصير المنظِّرين والدعاة في تحفيز الشباب نحو العمل الدعوي وفتح الآفاق أمامهم للولوج إلى ميدان الدعوة كل على حسب ما آتاه الله تعالى من علم ومقدرة وموهبة.

٥- ميل الكثيرين إلى الكسل والبطالة أو كثرة الرحلات والمخالطات، وبعدهم عن الجدية في عموم أحوالهم وأمورهم؛ ومن ذلك أمر الدعوة إلى الله تعالى.

٦- اشتغال بعضهم بالجدل والمراء في بعض القضايا الفكرية، وبعض الأطروحات

المعاصرة مما شغله عن الاهتمام بالنهوض بالأمة في أعمالها وسلوكها وأخلاقها.

٧- اشتغال بعضهم بالتنقيب عن عيوب الناس وخصوصاً العاملين في حقل الدعوة، وإظهار تلك العيوب ونشرها وتضخيمها، يزعم بذلك أنه محسن في ذلك قائم بأمر الدعوة.

٨- اشتغال بعضهم بالنظر في الواقع وتتبع ما يجري في الساحة والمبالغة في ذلك إلى حد الانهماك فيه، ثم يظن أنه بذلك قدم شيئاً للأمة بمجرد هذه المتابعة والتحليلات.

٩- تثبيط القاعدين وتحبيط المتقاعسين عن القيام بأمر الدعوة؛ فلا يكتفي أولئك بقعودهم وتقاعسهم، بل ربما سعوا إلى تثبيط غيرهم والحط من قدر أعمالهم.

١٠- اشتراط بعض الدعاة أن يكون في موقع معين في المشروع الدعوي، فإن لم يتحقق له ذلك المكان، ترك المجال الدعوي، وهو الخاسر بكل حال.[١]

علاج الفتور الدعوي عند الدعاة:

بمعرفة الأسباب يتضح العلاج، وهناك بعض الأدوية التي تداوي بها تلك العلة منها:

١- استشعار المسؤولية العظمى المناطة بكل مسلم تجاه دينه وأمته، وخصوصاً الدعاة الذين تربوا على الخير واغترفوا من معين الحق؛ فهم أجدر من يتصدى للنهوض بأمته ورفع الجهل عنها ورأب صدعها ومعالجة عللها وأدوائها النجاة.

---

(١) انظر: الفتور الدعوي عند الشباب، عبدالله الجعيثن، ص ٣.

٢- معرفة حقارة الدنيا وأنها لا تستحق انصراف القلب إليها وانهماك البدن في الاشتغال بها، وأن قيمتها الحقيقية تكمن في كونها ميداناً للأعمال الصالحة والجهود المباركة التي تنفع المرء في آخرته ومن ذلك العمل الدعوي ونفع الخلق بجميع صور النفع.

٣- التفاؤل في الأعمال الدعوية مطلب، وهو حافز للعمل ودافع إليه؛ ومع ذلك فلا تفترِضْ سلفاً عدم جدوى شيء من هذه الأعمال، ولا تُصَبْ بالإحباط حينما لا ترى الثمرة ماثلة للعيان؛ لأنك مطالب ببذل الأسباب، والنتيجة أمرها إلى رب الأرباب.

٤- واجب على من ولاَّهم الله تعالى أمر تعليم الأمة وتوجيهها من العلماء والدعاة أن يوجهوا الشباب إلى الانخراط في مجال العمل الإسلامي وأن يحفزوهم إلى ذلك، ويفتحوا لهم الآفاق الدعوية التي يمكنهم العمل من خلالها.

٥- لا بد من معرفة أن الناس وإن كان الغالب عليهم أنهم متعلمون إلا أنهم يجهلون الكثير الكثير من أمور دينهم ولا سيما في المناطق والهجر النائية؛ فواجب على كل من يحمل علماً ولو قليلاً أن يقوم بوظيفة.

٦- الجدية وعلو الهمة مطلب في حياة الشاب المستقيم؛ فلا بد من البعد عن مظاهر الكسل والبطالة والإخلاد إلى الراحة، بل المبادرة بملء الوقت بمعالي الأمور من علم وعمل ودعوة، مع إجمام النفس الفينة بعد الأخرى.

٧- إدراك أن الاشتغال بالجدل والمراء مما يورث قسوة القلب والضغائن بين الناس، ويصد القلب عن الاشتغال بما ينفع العبد وينفع أمته، فليبتعد المرء

عن المراء والجدال، وليشتغل بنشر الخير وتأليف القلوب على الحق.

٨- التوازن في الأمور مطلب شرعي، فلا يكن اشتغالك بجانب من جوانب الخير سبباً في اشتغالك عن جوانب أخرى ربما كانت واجبة كالدعوة إلى الله تعالى، وليست العبرة في ذلك بالميول القلبية والرغبات النفسية، فالشرع هو الميزان في ترتيب الأولويات وتوزيع الواجبات.

٩- مجانبة المتقاعسين والبعد عن مخالطة القاعدين؛ فالمرء على دين خليله؛ فإذا بُليت بمثل أولئك فكن معهم ببدنك لا بقلبك، ولا تكترث بتثبيطهم، واحمد الله عزوجل الذي عافاك مما ابتلاهم به، من غير أن يصيبك الإعجاب بالنفس؛ فالله تعالى هو المانُّ عليك بذلك.

١٠- الإخلاص أعظم الحوافز نحو العمل الدعوي ونفع الخلق، لما يرجوه العبد من الثواب ويؤمله من الأجر، وكذلك علم المرء بفضائل وثمرات الدعوة إلى الله من أعظم ما يدفعه نحو الاشتغال بذلك.[1]

خامسًا: العُجْبُ وخطرهُ على الداعية

في غمرة انشغال الداعية في أعماله الدعوية، يحصل لديه -أحياناً- قصور في تزكية نفسه، ومحاسبتها، وربما تسلل إلى قلبه آفات قادحة في عمله وإخلاصه، مفسدة لقلبه، قد يشعر بها وينشغل عن علاجها، وقد لا يشعر بها أصلاً، ومن الأمراض السريعة الفتّاكة بالنية: (العُجْبُ، وما ينتج عنه من الغرور والكبر).

---

(١) انظر: الفتور الدعوي عند الشباب، عبدالله الجعيثن، ص ٣.

مفهوم العُجب:

الإحساس بالتميّز، والافتخار بالنفس، والفرح بأحوالها، وبما يصدر عنها من أقوال وأفعال، محمودة أو مذمومة. (١)

من مداخل العُجب على الدعاة:

ومما يُدخل العُجب على الداعية نظره لما منحه الله تعالى إياه من بلاغة أو فصاحة وبيان أو سعة في العلم وقوة في الرأي، فإذا انضاف إلى ذلك حديث الناس عن أعماله، وتعظيمهم له، وإقبالهم عليه ولم يسلم حينئذٍ إلا القليل. (٢)

التحذير من العجب:

أمر الله عز وجل نبيه بالإنذار والدعوة، وتعظيم ربه عز وجل وفعل الخير، واجتناب الشر، وهجر الأوثان، ولعل المرء يدافع الرياء ويحس به، بيد أنه لا يشعر بما في داخله من العجب المحبط، ومن أجل ذلك كان مهلكًا بوصف النبي ﷺ حين قال: «**ثلاث مهلكات**» ثم ذكرهن: «**شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**».(٣) وإذا كانت الذنوب مهلكة، فإنها قد تكون رحمة بصاحبها حين تخلصه من العجب الذي هو الهلاك حقًا، وقال رسول الله ﷺ: «**لو لم تكونوا تذنبون، خشيت عليكم أكثر من ذلك: العجب**».(٤) ومما ورد في جزاء المعجبين قوله ﷺ: «**بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه،**

---

(١) انظر: آفات على الطريق، السيد محمد نوح، ١/ ١١٧.

(٢) انظر: عقبات في طريق الدعاة، عبد الله علوان، ١/ ٦٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم الحديث: ٣٠٤٥.

(٤) أخرجه ابن عدي ١/ ١٤٦، وغيره، وحسنه الألباني.

فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»، وفي رواية: «**قد أعجبته جمته وبرداه**» [١]، فكيف بمن أُعجِبَ بعلمه أو عمله؟!

من مظاهر العجب:

الله عز وجل أعلم بالإنسان من نفسه، والإنسان أعلم الناس بنفسه فهو أقدرهم على اكتشاف مظاهر العجب في نفسه، كما أن بعضها لا يخفى على الناس، منها:

١- الإكثار من الثناء على النفس ومدحها، لحاجة ولغير حاجة، تصريحاً أو تلميحاً، وقد يكون على هيئة ذم للنفس أو للآخرين، يراد به مدح النفس.

٢- الحرص على تصيّد العيوب وإشاعتها، وذم الآخرين -أشخاصاً أو هيئات- والفرح بذمهم وعيبهم.

٣- النفور من النصيحة، وكراهيتها، وبغض الناصحين.

٤- الاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير.

٥- الترفع عن الحضور والمشاركة في بعض الأنشطة العلمية والدعوية، وخصوصاً العامة. [٢]

مخاطر العجب وآثاره:

للعجب أثره على الدعوة والدعاة، ولا شك أن آثاره على الدعاة تنعكس على الدعوة أيضاً بالسلب، فمن آثاره على الدعاة:

---

(١) رواه مسلم، رقم الحديث: ٢٠٨٨، معنى (بتجلجل): يغوص، ومعنى (جمته): ما سقط على المنكبين من شعر الرأس.

(٢) انظر: العجب وخطره على الداعية، عبدالحكيم بلال، ص٣.

١- أنه طريق إلى الغرور والكبر، وآثار الكبر المهلكة لا تخفى.

٢- الحرمان من التوفيق والهداية؛ لأن الهداية إنما ينالها من أصلح قلبه وجاهد نفسه.

٣- بطلان العمل، والعجز والكسل عن العمل؛ لأن المعجب يظن أنه بلغ المنتهى.

٤- العقوبة العاجلة أو الآجلة، كما خسف الله بالمتبختر المعجب الأرض.

٥- ومن آثاره على الدعوة: توقفها أو ضعفها وبطؤها بسبب قلة الأنصار؛ نظراً لنفور الناس، وكراهيتهم للمعجبين، وسهولة اختراق صفوف الدعاة وضربها؛ نظراً لانهيار الدعاة المعجبين حال الشدائد. (١)

أسباب العُجب:

ذكر العلماء للعجب سببين رئيسين:

أولهما: جهل المعجب بحق ربه وقدره، وقلة علمه بأسمائه وصفاته، وضعف تعبده بها.

ثانيهما: الغفلة عن حقيقة النفس، والجهل بطبيعتها وعيوبها، وإهمال محاسبتها.

ويدخل تحتهما: تجاهل النعم، ونسيان الذنوب، واستكثار الطاعات. (٢)

علاج العجب:

أول ما ينبغي أن يتوجه إليه العلاج: معالجة أسباب العجب، ومجاهدة النفس على اجتنابها ويمكن تفصيل خطوات العلاج فيما يلي:

---

(١) انظر: العجب وخطره على الداعية، عبدالحكيم بلال، ص٣.

(٢) المرجع السابق،، ص٤.

١- الحرص على العلم الشرعي، الذي يهذب النفوس، ويصلح القلوب، ويزيد الإيمان؛ فإن الإيمان الكامل والعجب لا يجتمعان. وتحصيل العلم النافع دليل على أن الله أراد بعبده خيراً.

ومن الجوانب التي ينبغي العلم بها، والعمل بمقتضاها:

أ - العلم بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله، وحقه في التعظيم المورِث للخوف، الذي يطرد العجب.

ب- تذكّر فضل الله عز وجل على عبده، ونعمه المتوالية، والنظر في حال من سُلبها؛ فإن الله خلقه من العدم، وجعله إنساناً سوياً، وأمده بالنعم والأرزاق.

جـ - حقيقة الدنيا والآخرة، وأن الدنيا مزرعة هدف العبد فيها مرضاة الله تعالى وهو عز وجل لا يرضيه العجب، وكذا تذكّر الموت وما يكون بعده من الأهوال التي لا ينفع فيها إلا صالح العمل، والعجب يجعله هباء منثوراً.

٢- الحرص على ما يعين على تحصيل ذلك من الإقبال على كتاب الله تعالى، واستلهام الفهم منه، ومن سنة النبي ﷺ، وسيرة السلف الصالحين، ومجالسة العلماء والدعاة الصادقين، والأخذ من علومهم.

٣- دور الدعاة والمربين، والذي يتمثل فيما يلي:

أ - محاسبة النفس أولاً، وتنقيتها من داء العجب والفخر.

ب- متابعة البارزين ومن يخشى عليهم العجب، من خلال: البرامج الإيمانية واللقاءات الفردية التي يذكرون فيها بمعاني الإيمان والتواضع، وأحياناً

مصارحة الواحد منهم بما يصدر منه، بأسلوب مناسب، وتمكينه من معاشرة ومخالطة الصالحين، ورؤية بعض المتواضعين من إخوانه، الذين هم أكثر بروزاً في المجتمع، وإبعاده وتجنيبه صحبة المعجبين.

٤- اتباع الآداب الشرعية في المدح والثناء، والتوقير والاحترام، والطاعة والانقياد.

٥- النظر إلى العاملين النشيطين، والتأمل في سيرهم وحياتهم.

٦- التأكيد على المسؤولية الفردية في محاسبة النفس ومتابعتها.[١]

الفرق بين العجب بالعمل والفرح بالخير والطاعة:

كما أن العجب بالعمل يورث التواكل والتكاسل، فإن احتقار العمل إذا لم ينضبط فإنه يورث أثراً مشابهاً وهو: (الإحباط والملل والسآمة)؛ لذا كان للعبد أن يفرح بالحسنة، ويغتبط بالطاعة، بل إن هذا دليل الإيمان، ولكن الواجب عليه في هذا الفرح، أن يكون مستشعراً فضل الله عز وجل ومنته ورحمته وتوفيقه، مثنياً عليه بذلك، لا يرى لنفسه في الانبعاث لذلك العمل أثراً يعوّل عليه؛ إذ إن الذي منح القدرة والهداية هو الله عز وجل.[٢]

❁ ❁ ❁

(١) انظر: العجب وخطره على الداعية، عبدالحكيم بلال، ص٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤.

نماذج في اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ [١]

كل مسلم عاقل يعلم أن الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -هم أفضل الخلق بعد الرسل والأنبياء، وأن قلوبهم أنقى وأتقى قلوباً بعد قلب النبي ﷺ وقلوب الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام -، وهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، وأتقاهم لله -تعالى-، وأكثرهم خشية لله -تعالى- وأفضل منا عند الله -عز وجل -.

وجاء في صحيح الإمام مسلم عن أبى بريدة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «**ما زلتم ههنا؟**» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء قال: «**أحسنتم أو أصبتم**» قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»[٢]، قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى-: «معنى الحديث أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت

---

(١) كتب البحث بعد توفيق الله تعالى في تاريخ ٢٧/ ٢ / ١٤٣٨هـ.

(٢) رواه مسلم، باب: «تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام»، رقم الحديث: ٦٤٠.

السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، وقوله ﷺ: «**وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون**» أي: من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا وقد وقع كل ذلك. وقوله ﷺ: «**وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ»[(١)].

وفي هذه الورقة العلمية سيكون الحديث فيها عن جوانب من نماذج في اقتداء الصحابة الكرام بالنبي ﷺ، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اقتداء الصحابة الكرام بالنبي ﷺ سطرتها كتب علماء الإسلام بصحة الأسانيد والمتون وتناقلها الناس عبر القرون، ومن هذه النماذج:

١- لما رأى الصحابة في يد النبي ﷺ خاتَمًا مِن ذهب، لبسوا خواتيم من ذهب، فلما خلَعه خلعوا خَواتيمَهم، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ اصطَنع خاتَمًا مِن ذهب، وكان يَلبسه فيجعَل فصَّه في كفِّه، فصنَع الناس خواتيم، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه، فقال: «**إني كنتُ ألبس هذا الخاتم وأجعل فصَّه من داخل**» فرمى به ثم قال: «**والله لا ألبسه أبدًا**» فنبَذ الناس خواتيمهم.[(٢)]

---

(١) انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج، الإمام النووي، ٨/ ٣٠٧.

(٢) رواه البخاري، رقم الحديث: ٦٦٥١.

٢- حينما خلَع النبي ﷺ نعلَيه في الصلاة خلع الصحابة نِعالهم؛ تأسيًا ومُتابعة له، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله ﷺ يُصلِّي بأصحابه إذ خلَع نعليه فوضَعهما على يَساره، فلما رأى ذلك القوم ألقَوا نِعالهم، فلما قضَى رسول الله ﷺ صلاته، قال: «**ما حملكم على إلقاء نِعالكم؟**» قالوا: رأيناك ألقيتَ نعلَيك فألقَينا نِعالنا، فقال ﷺ: «**إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيها قذرًا**»، أو قال: «أذى»، وقال: «**إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظرْ فإن رأى في نعلَيه قذرًا أو أذًى فليَمسحه وليُصلِّ فيهما**». (١)

٣- زجر الصحابة لمن لا يستجيب لقول الله ورسوله، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَمنعوا إماء الله أن يُصلِّين في المسجد**» فقال ابنٌ له: «إنا لنَمنعهنَّ»، فغضب غضبًا شديدًا، وقال: «أُحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتقول: إنا لنَمنعهنَّ؟!» (٢)

٤- عن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنتُ أَضرِب غلامًا لي بالسوط، فسمعتُ صوتًا مِن خلفي: «**اعلم أبا مسعود**»، فلم أفهم الصوت مِن الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود**» قال: فألقيتُ السَّوط من يدي، فقال: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**»، قال: فقلت: «لا أَضرِب مملوكًا بعده أبدًا». (٣)

---

(١) رواه أبو داود، رقم الحديث: ٦٥٠.

(٢) رواه ابن ماجه، رقم الحديث: ١٦.

(٣) رواه مسلم، رقم الحديث: ٢٦٥.

٥- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن خياطًا دعا رسولَ الله ﷺ لطعام صنَعه، قال أنس: «فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزًا ومرقًا فيه دُبَّاء وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتتبَّع الدباء مِن حوالي القَصعة، قال: «فلم أزل أُحبُّ الدبَّاء مِن يومئذ». (١)

٦- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحد فقال: «**مَن يأخذ مني هذا؟**» فبَسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: «**فمَن يَأخُذه بحقِّه؟**» فأحجَم القوم، فقال سِماك بن خرَشة أبو دُجانة: «أنا آخُذه بحقِّه»، قال :فأخَذه ففلَق به هام المشركين. (٢)

٧- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فبعَث إلى نسائه، فقُلنَ: ما معَنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن يضمُّ أو يُضيف هذا؟**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلَق به إلى امرأته فقال: أَكرِمي ضَيفَ رسول الله ﷺ فقالتْ: ما عِندنا إلا قوت صِبياني، فقال: هيِّئي طعامك، وأَصبِحي سِراجَك، ونوِّمي صِبيانَكِ إذا أَرادوا عشاءً، فهيَّأت طعامَها، وأصبَحتْ سِراجها، ونوَّمت صبيانها، ثم قامت كأنَّها تُصلِح سِراجها فأطفأته، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويَين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ضَحِكَ الله أو عَجب مِن فعالكما**»، فأنزل الله -عز وجل-: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. (٣)

---

(١) رواه البخاري، رقم الحديث: ٢٠٩٢.

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث: ٢٤٧٠.

(٣) رواه البخاري، رقم الحديث: ٩٧٠.

٨- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنتُ أسقي أبا عُبيدة وأبا طَلحة وأُبيَّ بن كعب مِن فَضيخ زهر وتمْر، فجاءهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حُرِّمتْ»، فقال أبو طلحة: «قم يا أنس فأَهرِقها، فأهرَقتُها». (١)

٩- عن رافع بن خَديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعًا، وطواعيةُ الله ورسوله أنفعُ لنا، نهانا أن نُحَاقِلَ بالأرض فنُكريها على الثُّلُث والرُّبع والطَّعام المسمى». (٢)

١٠- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما فتَح رسول الله ﷺ خيبر، أَصبْنا حُمُرًا خارجًا مِن القرية فطبَخْنا منها، فنادَى مُنادي رسول الله ﷺ: «ألا إن الله ورسوله يَنهيانِكم عنها؛ فإنها رجْس مِن عمل الشيطان»، فأُكفِئت القُدور بما فيها، وإنها لتَفور بما فيها. (٣)

١١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يَفتح الله على يديه**»، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ»، قال: فتساوَرتُ لها؛ رجاء أن أُدعَى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، فأعطاه إياها وقال: «**امشِ ولا تَلتفِت حتى يَفتح الله عليك**»، فسار عليٌّ شيئًا ثم وقَف ولم يَلتفِت، فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟ فقال: «**قاتِلهم حتى يَشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد**

---

(١) رواه البخاري، رقم الحديث: ١٣٥٢.

(٢) رواه مسلم، رقم الحديث: ٨٤٥.

(٣) رواه مسلم، رقم الحديث: ١٣٢٤.

منَعوا منكَ دِماءهم وأموالهم إلا بحقِّها وحِسابُهم على الله». [١]

١٢ - عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما استَوى رسول الله ﷺ يوم الجمعة، قال: «**اجلِسوا**»، فسَمِع ذلك ابن مسعود فجلَس على باب المسجد، فرآه رسول الله ﷺ فقال: «**تعالَ يا عبدالله بن مسعود**». [٢]

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم، رقم الحديث: ٦٨٣.

(٢) رواه أبو داود، رقم الحديث: ٧٩٢.

الفهــرس

رقم الصفحة

مقدمـــة ٥
تاريخ الدعوة إلى الله تعالى ٧
أهمية الدعوة وحكمها وفضل القيام بها وخصائصها وأصولها ٤١
التصنيف في علم الدعوة ٦٨
إقامة الحجة وإبراء الذمة في الدعوة إلى الله تعالى ٩٦
الدعوة إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح ١٠٠
عوامل انتشار الدين الإسلامي ١٠٧
التدرج في الدعوة إلى الله تعالى ١١٤
المهارات العملية المؤثرة للداعية ١٢١
معوقات الدعوة المعاصرة ١٣٤
نماذج في اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ ١٥٨
الفهرس ١٦٤

الحمد لله رب العالمين

من إصدارات المؤلف [١]

١ـ مختصر البيان في توضيح منهج تفسير أضواء البيان

٢ـ عِقد الجُمان من تفسير أضواء البيان

٣ـ مشاهد من قصة يوسف عليه السلام

٤ـ البدر التمام في أحاديث الأحكام

٥ـ أحاديث السلسلة الذهبية

٦ـ الحدائق البهية في شرح أحاديث السلسلة الذهبية

٧ـ المختصرات الحسان في بيان أصول الإيمان

٨ـ تمام المنة في شرح أصول السنة

٩ـ الباعث الحثيث في توضيح أصول الفقه على منهج أهل الحديث

١٠ـ مختصر الإفادة من كتاب الطهارة

١١ـ مختصر الكلام في شرح نواقض الإسلام

١٢ـ السراج المنير في سيرة البشير النذير

١٣ـ السحر والسحرة على ضوء الكتاب والسنة

١٤ـ ينابيع الشذى في الأحلام والرؤى

١٥ـ القول المبين في عالم الجن والشياطين

١٦ـ الشروحات الذهبية على منظومة القواعد الفقهية

١٧ـ التوضيحات الجلية في الرقية الشرعية

١٨ـ الفوائد المختارة على أشراط الساعة

١٩ـ الرحلة إلى الدار الآخرة

٢٠ـ موجز الأخبار عن الجنة والنار

٢١ـ مختصر سيرة الخلفاء الراشدين ومقتل الحسن والحسين

٢٢ـ مواعظ القلوب بين الترغيب والترهيب

٢٣ـ إثارة الشجون في عنابر السجون

٢٤ـ المختصر الوجيز في بيان أهل المذاهب والفرق والجماعات والأحزاب

٢٥ـ فرائد الفوائد من مجالس العلم

٢٦ـ شذرات الذهب من فوائد الطلب

٢٧ـ الفوائد العلمية من المؤلفات السعدانية

٢٨ـ بدائع الفوائد

٢٩ـ قطوف من الفوائد

٣٠ـ منتقى الفوائد

٣١ـ صرير القلم

٣٢ـ مسائل علمية وقضايا معاصرة

٣٣ـ أسس الحرية في الفكر الغربي

٣٤ـ إضاءات على طريق الدعوة إلى الله تعالى

---

(١) جميع الإصدارات متوفرة في عدة مواقع على شبكة الإنترنت، وخاصة في الصفحة الشخصية على موقع صيد الفوائد على الرابط التالي: http://saaid.net/Doat/naseralsaif/index.htm.

من الكتب المهمة في تخصص الدعوة [١]

١- أساليب الدعوة المعاصرة، للمؤلف حمد العمار.
٢- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، للمؤلف عبدالرحيم المغذوي.
٣- أصول الدعوة، للمؤلف عبدالكريم زيدان.
٤- تذكير أسود الصحوة بجمل من قواعد الدعوة، للمؤلف وليد السعيدان.
٥- دعوة النبي ﷺ للأعراب، للمؤلف حمود الحارثي.
٦- الدعوة إلى الله تعالى في ميادينها الثلاثة الكبرى للمؤلف محمد الغامدي.
٧- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في المجتمع الإسلامي، للمؤلف عبدالله اللحيدان.
٨- فقه دعوة غير المسلمين ورعاية المسلمين الجدد، للمؤلف محمد شريف.
٩- صفات الداعية، للمؤلف حمد العمار.
١٠-فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، للمؤلف سعد القعود.
١١-قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، للمؤلف عابد الثبيتي.
١٢-مبادئ علم أصول الدعوة، للمؤلف محمد يسري.
١٣-المدخل إلى علم الدعوة، للمؤلف محمد أبو الفتح البيانوني.
١٤-مراعاة أحوال المخاطبين، للمؤلف فضل إلهي.
١٥-مراقي الوصول إلى فقه الدعوة وهداياتها من ستة الأصول، للمؤلف يوسف الدخيل.
١٦-معالم في منهج الدعوة، للمؤلف صالح بن حميد.
١٧-منهج السلف في الوعظ، للمؤلف سليمان العربي بن صفية.
١٨-المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، للمؤلف حمود الرحيلي.
١٩-منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب، للمؤلف حمود الرحيلي.
٢٠-نصوص الدعوة في القرآن الكريم، للمؤلف حمد العمار.

---

(١) هذه الكتب في تخصص الدعوة ولعل القارئ الكريم يجد الفائدة فيها وفي غيرها إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.